اقرأ

سلسلة ثقافية شهرية
تصدر عن دار المعارف

مهند عميرة

Telegram:@mbooks90

تحليل الفكر اليهودي

دار المعارف

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تحليل الفكر اليهودي

Analysis of the Judaic Thought

الطبعة الأولى

يونيو 2021م

تصميم الغلاف

غادة نبيل

تدمك 978 977 02 9144 3

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أحلام شهرزاد – العدد الأول من سلسلة اقرأ الشهرية صدر عام ١٩٤٣

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

רנני ר יהיו ספרי קדושים

רפררסר יהיו ספרי ערבים

(דונש בן לברט)

اجعَل الكِتابَ المُقَدَّسَ عِدَتَك

وَكُتبَ العَربِ بُستَانَك

(دوناش بن لبراط)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إهداء

إلى أبي وأمي،

وجُدران «مخيّم النّصر»

التي لم تتوقّف – يومًا - عن تذكيرِنا بأنّ

«فلسطين عربيّة»

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مقدمة

ورد إلى علمي مؤخرًا وجود تمثال لـ «يهوذا هاليفي» في أحد متاحف مدينة «قيسارية» الفلسطينية المحتلة، وهي معلومة مثيرة للانتباه، تستحق التأمل والتفكير، والتساؤلَ أيضًا: لماذا تحتفي الدولة اليهودية بهاليفي؟ وتصنع له تمثالًا؟ وكيف تبرر الدولة اليهودية علاقتها بشاعر يهودي عاش في عدة مدن أندلسية - تحت الحكم الإسلامي - في القرنين الحادي عشر والثاني عشر؟

تلقي هذه الأسئلة الضوء بشكل مباشر على الفكر اليهودي المعاصر، وعلى قراءاته وتفسيراته للأحداث التاريخية المتعلقة بالمجتمعات اليهودية المنتشرة في عدة أنحاء من العالم، والإجابة عنها تعني كل من يسعى لمعرفة آلية بناء اليهود - المحتلين فلسطين - لتصوراتهم الفكرية، وتشكيل معتقداتهم، وكيفية إدراكهم للوضع الراهن بكل أبعاده.. الدينية والتاريخية والجغرافية والسياسية والأخلاقية والقانونية، كما تعني هذه الإجابات كلَّ من تشغله المسألة الفلسطينية من: مسلمين ومسيحيين ويهود وفلسطينيين وعرَب ومؤرخين وحقوقيين وأكاديميين، وغيرهم ممن يسعى لإعادة هيكلة المصطلحات المرتبطة بالديانة اليهودية، وهو الأمر الذي لا يتم إلا بتفكيك تلك المصطلحات، ونزعها من دلالتها، ثم تحليلها، ومعرفة حدودها، وإعادة التفكير فيها بشكلها اللغوي المعجمي، واستبعاد المفاهيم المسبقة والأولية بخصوصها، ثم إعادة تركيب دلالات جديدة مستمدَّة من الدراسات في مجالات العلوم الإنسانية المختلفة، مثل: علم الاجتماع والأنثروبولوجيا والتاريخ والجغرافيا والفلسفة ومقارنة الأديان وغيرها من العلوم.

Telegram:@mbooks90

ولا بد لتلك الدلالات الجديدة المركّبة أن تبتعد عن العاطفة والحماسة، فحاجة الأكاديميا العربية إلى خطاب تحليلي وتفسيري أهم من حاجتها إلى خطابات تعبوية أو قانونية أو أخلاقية، وهذا لا ينكر فضل تلك الخطابات، ولكنه يضعها في غير مكانها، فالخطاب التعبوي يبدو مناسبًا لساحات الحروب، أو حين تدعو الحاجة للمزيد من الحماسة، والخطاب القانوني مكانه في المحاكم الدولية، وفي كليات الحقوق، والخطاب الأخلاقي هو انعكاس للحالة العاطفية اللاشعورية تجاه المسألة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفلسطينية، وقد يكون مناسبًا أكثر عند إثارة العوام الساخطين، وكل خطاب من تلك الخطابات هو جندي مسخَّر في مكانه، والخلط بين هذه الأماكن - كوضع الأخلاقي في الأكاديميا، أو التحليلي عند مخاطبة الجماهير في الحرب - هو خطأ استراتيجي، يضعف طرفًا على حساب آخر، كما أن الخطابات التعبوية والقانونية والأخلاقية تملأ الأكاديميا والميديا، والشعوب العربية ليست بحاجة لها لأنها مشبعة فعلًا بمفاهيمها، على عكس الخطاب التحليلي الذي يكاد يكون غير موجود عند تناول المسألة الفلسطينية.

وإجابة الأسئلة الخاصة بارتباط يهوذا هاليفي بالدولة اليهودية تعني المجتمع الأدبي بشكل خاص أيضًا، وذلك لأنها تشير إلى عصر ثري من عصور الشعر العربي، وهو العصر الأندلسي كما يسميه المؤرخون، وتناقش تلك الأسئلة أيضًا العلاقات بين الشعر العربي والشعر العبري في ذلك العصر، وتفتح آفاقًا للباحثين في الأدب المقارن، وهي امتداد لفكرة تأثر أدب الحضارة الأضعف بأدب الحضارة الأقوى - بغض النظر عن جودة أي منهما-وتتمة لقضية تأثير صنعة الشعر العربي على أشعار اللغات الأخرى، والتي ناقشناها في كتابنا «صنعة الشعر العربي: تأثير الحضارة والثقافة»(1).

وقد جاء هذا الكتاب ليحاول العثور على تفسير لتلك العلاقة المفتَرَضة بين يهوذا هاليفي والدولة اليهودية، ومن أجل هذا الهدف يأتي الباب الأول في الكتاب كدراسة تحليلية لنصوص الموسوعة اليهودية **Encyclopedia Judaica** من أجل استقراء الفكر الذي تقدمه، ومحاولة التعرف على ملامحه، وقد أوصلنا استقراء هذا الفكر لنتيجة دعتنا إلى دراسة حالة الشعر العبري في الأندلس، وهو ما كان في الباب الثاني من هذا الكتاب.

Telegram:@mbooks90

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الباب الأول استقراء الفكر اليهودي

يورد «قاموس أكسفورد» الموسوعةَ على أنها: «كلمة لاتينية تشير إلى كتاب أو مجموعة من الكتب التي تعطي معلومات عن عدة مواضيع أو عدة جوانب من موضوع واحد، وغالبًا يتم ترتيب محتوياتها أبجديًا»، وبالتالي فإن الموسوعة اليهودية هي مجموعة من الكتب التي تقدم معلومات مرجعية عن مواضيع مرتبطة بالديانة اليهودية، وقد بدأ ظهور الموسوعات اليهودية - بلغات مختلفة - بدءًا من منتصف القرن الثامن عشر، حيث نُشِرَت الموسوعة اليهودية لأول مرة بالإيطالية على يد الحاخام «إسحق لامبرونتي»، ثم نُشرَت باللغة الإنجليزية عام 1906م، حيث صدرت الموسوعة اليهودية **Jewish Encyclopedia**، ثم توالى صدور الموسوعات المختلفة، والتي غالبًا ما كانت تغطي جانبًا واحدًا فقط أو بضعة جوانب معدودة متعلقة بالديانة اليهودية، حتى ظهور الموسوعة اليهودية **Encyclopedia Judaica**، والتي نُشرَت طبعتُها الأولى عام 1972م، لتشمل كل ما يخص المجتمعات اليهودية -في كل الأماكن المعروفة من العالم - دينيًا واجتماعيًا وتاريخيًا وجغرافيًا وسياسيًا وأنثروبولوجيًا وأدبيًا وعلميًا، مثل: ملخصات لحياة أفراد مؤثرين، وتاريخ مجتمعات عاشت في مدن مختلفة، ومصطلحات دينية من العهد القديم، ونبذة عن الحركة الصهيونية، كما ورد في الموسوعة تضمين لأفراد غير يهود أيضًا ربطتهم علاقة مباشرة باليهود، وهذه الموسوعة اليهودية - بطبعتها الثانية الصادرة عام 2007م - مكونة من اثنين وعشرين جزءًا في 17521 صفحة.

وقد قمنا باختيار الموسوعة اليهودية **Encyclopedia Judaica** لاستقراء الفكر اليهودي لعدة أسباب وهي: أنها شملت كل الجوانب المتعلقة باليهودية - ومن ضمنها الصهيونية - ولأنها مكتوبة بعناية أهم الأكاديميين اليهود، لذلك فهي تعكس فكر الصفوة، وتخاطب الأكاديميين والمثقفين، ولأنها تلخيص للموسوعات التي سبقتها وإضافة عليها، كما أنها لاقت استحسانًا أكاديميًا كبيرًا، وحازت على العديد من الجوائز، مثل «وسام دارتموث» من «جمعية المكتبات الأمريكية»، ونظرًا لضخامة حجم الموسوعة، فقد اخترنا الجزء الأول منها فقط كعينة عشوائية بسيطة،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حيث لا يختلف الجزء الأول عن غيره من الأجزاء - من ناحية الموضوعات والتقديم والعرض - إلا باحتوائه مقدمة الموسوعة والمساهمين في إعدادها، وقد تجنبنا اختيار نصوص عشوائية من أجزاء مختلفة من الموسوعة لنتفادى مسألة التحيز وانتقاء النصوص، لذلك فالنصوص التي سيتم عرضها واستقرائها هي نصوص من الجزء الأول فقط.

النصوص

ورد في الموسوعة(2) ذكرُ شخصية تُدعى «هارون بن بطاش»، وتعرِّف الموسوعة هارونَ هذا بأنه وزير وكاتب مغربي يهودي عاش في القرن الخامس عشر للميلاد، وهو وزير السلطان عبد الحق الثاني المريني، وتشير الموسوعة إلى فرض الوزير هارون ضرائب باهظة، وتوزيعه الإيرادات على أتباعه - قصدت الموسوعة بهم اليهود - الفقراء، مما جعل رجال الدين المسلمين يثيرون العامةَ عليه وعلى اليهود، فهاجموا اليهود في حيهم، وقتلوا السلطان والوزير، وهذا ملخص عرض القصة في الموسوعة، والقصة ذاتها مذكورة أيضًا عند المؤرخين العرب برواية عليها زيادة، فقد ذكرها أحمد بن خالد الناصري في كتابه «الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى»، فقال إن الوزير ضرب «امرأة شريفة» من أهل «حومة البليدة» في فاس، فاستغاثت المرأة برسول الله - ﷺ - فغضب الوزير وزاد في عقابه لها، مما استدعى غضب الناس حال معرفتهم بالأمر، فتجمعوا عند الفقيه «أبي فارس عبد العزيز بن موسى الورياكلي»، والذي استكبر الذل الذي يعيشه المسلمون، وأوعز للناس بالفتك باليهود، وخَلْع السلطان، فكان أن هاجموا اليهود في حارة اليهود في فاس، «فقتلوهم واستلبوهم واصطلموا نعمتهم واقتسموا أموالهم»، ثم قتلوا الوزير والسلطان.

وبين رواية الناصري ورواية الموسوعة هناك أسباب مختلفة لحادثة قتل الوزير اليهودي هارون، فالناصري أشار إلى اعتداء على امرأة مسلمة، وإظهار عدم الاحترام للنبي محمد - ﷺ - بينما أشارت الموسوعة إلى ضرائب عالية، ولم تذكر هذا الاعتداء؛ورواية الناصري أكثر دقة على ما يبدو، لأن تاريخ المسلمين مليء بحكايا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مشابهة عن اعتداء على امرأة يفضي إلى قتل المعتدي، مثل قصة غزوة بني قينقاع، ومثل استنجاد امرأة بالخليفة المعتصم، والذي أفضى إلى فتح عمورية، فللعِرضِ قيمة كبيرة عند المسلمين، كما أن المسلمين يعظمون الرسول - ﷺ - فهو رمز ديني لديهم، وإظهار عدم الاحترام له يستدعي غضبهم، بينما تعد الثورات على الحكام والوزراء لدوافع اقتصادية قليلة في تاريخ المسلمين، وإن قامت فلا تصل حد قتل الحاكم ووزيره، لذلك تبدو رواية الناصري أكثر إقناعًا، فلماذا لم تذكر الموسوعة السبب المباشر للحادثة؟

تورد الموسوعة(3) ذِكرَ مدينة «آتشين»، وهي مدينة ألمانية على حدود بلجيكا، بلغ أقصى تعداد لليهود فيها ألفًا وأربعمائة وأربع وثلاثين نسمة فقط عام 2003م، وهذا بالطبع ضمن عشرات الآلاف من غير اليهود الذين يعيشون هناك، وعلى الرغم من أن المدينة لم تشغل إلا ما يقارب نصف الصفحة من الموسوعة، إلا أن فيها ما لا يقل عن أربع إشارات إلى معاناة اليهود فيها، بين نفي، واعتقالات، وتهجير، واضطهاد، وظلم، وهروب، وطرد، وحرمان من الحقوق التعليمية والدينية لقرون، وهذا أحد الأمثلة على اضطهاد اليهود في آتشين كما تقدمه الموسوعة: «تم نفي اليهود من آتشين عام 1629م، انتقل أغلبهم إلى بورتشيد»، والسياق هنا ناقص، وليس فيه إلا معلومة مجتزئة من سياقها، وهي عبارة تترك لديَّ كقارئ الكثيرَ من الأسئلة، فمن الذي نفى اليهود من آتشين؟ ولماذا تم نفيهم؟

تذكر الموسوعة مقاطعة «آرغاو»، وهي مقاطعة شمالى سويسرا، وقد جاء في الموسوعة: «آرغاو: مقاطعة في شمال سويسرا. من المعروف أن بعض العائلات اليهودية عاشت هناك خلال العصور الوسطى. بين القرن السابع عشر ومنتصف القرن التاسع عشر كانت آرغاو منطقة الإقامة الدائمة الوحيدة لليهود في سويسرا، وقد عاش اليهود في مجتمعين؛ إندنجن ولينغناو، وهم الذين شنوا الكفاح من أجل التحرر اليهودي في سويسرا».(4)، والكفاح الذي قصدته الموسوعة هو الثورة على الرسوم العالية، والتنقل، ومحدودية المهن المتاحة،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والقيود الاقتصادية، والملكية، ومقاومة حقوقهم الجديدة من منظمات معاداة اليهود، ولكن التقديم للمقاطعة مثير للريبة، فما أن عرّفت الموسوعةُ المقاطعةَ، وذكرت أن اليهود عاشوا فيها، حتى قفزت بشكل فوري ومباشر إلى الاضطهاد الذي عانوه فيها، كما أن الموسوعة قد أشارت إلى عدة مظاهر لاضطهاد اليهود في آرغاو ولكنها لم تذكرأي سبب لهذا الاضطهاد، هل كانت يهوديتهم هي سبب اضطهادهم؟

وفي الحديث عن الولاية الكندية «ألبرتا»، ورد في الموسوعة: «على الرغم من أن المجتمع اليهودي الأول في ألبرتا واجه معاداة السامية، وقد كانت معاداة السامية حقيقة حياتية في قانون الهجرة الحكومي الكندي إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية، إلا أنها -معاداة السامية- لم تكن معلنة بشكل كبير في مدن ألبرتا الرئيسية. لم يُستَدعى يهود ألبرتا إلى المدارس المهنية كما حصل مع اليهود في مانيتوبا، وأونتاريو، وكيبيك. لم يكن التمييز في ألبرتا صريحًا ومنظمًا ولكنه كان موجودًا على المستوى غير الرسمي، مثل النوادي الاجتماعية. وقد كان هناك استثناء متمثل بحزب الائتمان الاجتماعي الذي حكم في 1935م. وقد أعطى هذا الحزب السياسيين المعادين للسامية منصة يستطيعون من خلالها التعبير عن آرائهم، واستخدام داعميهم القرويين. لامَ ماجور دوغلاس - مؤسس الحزب - يهودَ ألبرتا على الأوقات الصعبة خلال الثلاثينيات، وحتى حين تحدث رئيس الوزراء وليام أبيرهاردت علانية ضد معاداة السامية، فقد أعطت كتاباته ودائرته الاجتماعية -بمن فيهم هنري فورد- انطباعًا مترددًا إن لم يكن سلبيًا»(5).

وفي هذه الفقرة إشارات مبهمة كثيرة جدًا عن موضوع الظلم الذي تعرض له اليهود في ألبرتا، فقد ذكرت الموسوعة معاداةَ السامية في قانون الهجرة الحكومي الكندي، بل وجعلته «حقيقة حياتية»، ولكنها لم توضحه، أو تذكر في أي من فقرات القانون كانت تلك المعاداة، ثم تذكر الموسوعة تمييزًا غير صريح ولا منظم على المستوى غير الرسمي، وهي عبارة فضفاضة جدًا، لا يمكن قياسها، ومن الصعب تصديقها من وجهة نظر محايدة، فلم ترد لها أي مظاهر أو إشارات، إلا النوادي، والتي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لم توضح الموسوعة أيضًا كيف ظُلِمَ اليهود في نوادي ألبرتا، ولماذا استخدمت الموسوعة لفظة «القرويون» للإشارة إلى الأفراد الذين كان يستخدمهم السياسيون «المعادون للسامية»؟ هل تملك الموسوعة إحصاءات ديموغرافية معينة عن هؤلاء الأفراد؟ أم أنها استخدمت لفظة قرويين للتقليل من الشأن الفكري لأعداء اليهود في ألبرتا؟ وذلك لما تحمله الكلمة من دلالة على البساطة والسذاجة، وفي الحديث عن كلام رئيس الوزراء أبيرهاردت «المعادي للسامية» لم توضح الموسوعة أين ومتى قال ذلك الكلام، بل إنها لم تذكره مطلقًا، كما لم تشر الموسوعة إلى سبب واحد يدعو سكان ألبرتا لاضطهاد اليهود، فهل نحن هنا أمام اضطهاد حقيقي عاناه يهود ألبرتا؟ أم أمام اصطناع للاضطهاد؟

ورد في فقرة صغيرة في الموسوعة ذكرُ «هارون بن إسحاق»، وقدمته الموسوعة على أنه رئيس «اليشيفا» في ألمانيا في القرن الثامن عشر(6)، واليشيفا هي معهد تعليمي ديني، يقوم بتدريس التقاليد والتعاليم اليهودية، ولكن هل كان هناك يشيفا حقًا في ألمانيا في القرن الثامن عشر؟ لماذا نسمع كثيرًا عن «الهولوكوست» - بل تؤرخ الموسوعة في العديد من فقراتها بمرحلة تاريخية تسميها «ما بعد الهولوكوست» - ولا نكاد نعلم بوجود اليشيفا في ألمانيا؟ حتى التصق في أذهاننا أن اليهود الألمان مضطهدون.

وفي معرض الحديث عن «هارون بن حكيمان»، وهو شاعر يهودي عاش في بغداد في القرن الرابع عشر الميلادي، ورد ذكره في فقرة صغيرة في الموسوعة، حيث ذُكِر أن ديوانه الأصلي مفقود، وأن أجزاءً منه نُشِرت نهاية القرن التاسع عشر في «سانت بطرسبرغ»، واحتوت هذه الأجزاء المنشورة على كناه - مرادف للمرثية بالعبرية - لاضطهاد اليهود في بغداد عام 1344م، وتدمير كنسهم وإهانة مخطوطات التوراة(7)، وهذه الفقرة مجتزأة أيضًا، وتترك ورائها المزيد من الأسئلة التي تستدعي البحث؛ ألم يحتو ديوان هارون ابن حكيمان إلا على الكناه؟ ولماذا تم اضطهاد اليهود وتدمير كنسهم وكتبهم في بغداد عام 1344م؟

Telegram:@mbooks90

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وردت قصة اليهود في أفغانستان في الموسوعة، والتي جاء فيها: «كان هناك حوالي خمسة آلاف يهودي يعيشون في أفغانستان في 1948م. تبقى منهم حوالي ثلاثمائة في 1969م. وكانوا متمركزين في كابل وبلخ وهرات. نُفيَ اليهود من المدن الأخرى بعد اغتيال الملك نادر شاه في 1933م. على الرغم من عدم إجبارهم على العيش في تجمعات منفصلة، إلا أن اليهود فعلوها حقًا، وكانوا يقفلون بوابات الغيتو (8)ليلًا. بدأت الحملة ضد اليهود في 1933م. كانوا ممنوعين من مغادرة المدينة بدون إذن. كان عليهم أن يدفعوا ضرائب سنوية، ومنذ 1952م - وهي السنة التي توقف قانون الخدمة العسكرية عن تطبيقه على اليهود - أصبح عليهم أن يدفعوا مقابل إعفائهم من الخدمة الحربية. الخدمات والمدارس الحكومية كانت مغلقة أمام اليهود، وكانت بعض المهن ممنوعة عليهم. وبناءً على ذلك، لم يتلقَ أغلب اليهود إلا التعليم الديني الأساسي في المنزل. كان هناك بعض العائلات الغنية، بينما كانت أغلب العائلات تعاني الفقر المدقع وكان الأغلب يعمل كخياطين أو صانعي أحذية. كان يهود أفغانستان ممنوعون من مُغادرة البلد حتى 1950م. على أي حال، فقد ذهب أربعمائة وتسعة وخمسون يهوديا أفغانيا بين حزيران 1948م وحزيران 1950م إلى إسرائيل. وقد هرب العديد منهم في 1944م، وعاشوا في إيران أو الهند حتى تأسيس دولة إسرائيل. تم السماح لليهود بمغادرة أفغانستان منذ نهاية 1951م. حتى نهاية 1967م، ذهب أربعة آلاف يهودي إلى إسرائيل. لم يكن مسموحًا بأي نشاط صهيوني في أفغانستان، ولم يُسمح للمبعوثين من إسرائيل الوصول إلى أفغانستان»(9).

وهي فقرة توحي بأنها ندب على حال اليهود الأفغان أكثر من أنها سرد تاريخي أكاديمي لحياتهم، فالتواريخ غير متتابعة بترتيبها الزمني، وليس بينها مشترك إلا الاضطهاد، وكأن الموسوعة تبحث عن الاضطهاد -أو ربما تدّعيه- وتقوم بسرده، وهذه الفقرة مجتزأة، وتترك لديّ كقارئ الكثير من الأسئلة؛ لماذا تم نفي اليهود من المدن بعد اغتيال نادر شاه؟ وهل كان نفيهم شعبيًا أم رسميًا؟ دينيًا أم سياسيًا؟ لماذا بدأت الحملة ضد اليهود عام 1933م؟ هل كانت الحملة ضد اليهود وحدهم؟ أم ضد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأقليات الدينية والعرقية بشكل عام؟ وهذه التعقيدات الرسمية من منع التعليم والسفر، هل كانت ضد اليهود وحدهم أيضًا؟ هل عاش اليهود فعلًا بشكل منعزل في الغيتو؟ أشارت الموسوعة إلى وجود عدة عائلات يهودية غنية، فكيف شكلت هذه العائلات ثرواتها وسط كل هذه التعقيدات والممنوعات؟ هل كل ما سبق من تصوير لاضطهاد اليهود في أفغانستان حقيقي فعلًا؟ ما علاقة المقدمة القائمة على سرد اضطهادات اليهود بالخاتمة التي تفيد أن أربعة آلاف يهودي هاجروا من أفغانستان إلى إسرائيل؟ هل يتم تصوير إسرائيل على أنها الخلاص والحل من أشكال اضطهاد اليهود من الآخرين؟ ما هو حال اليهود الأفغان اليوم في إسرائيل؟

وفي الموسوعة ورد ذكر «أبنير البرغشي»، وهو طبيب مرتد عن الديانة اليهودية، عاش في برغش الإسبانية بين القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، وهذا الطبيب أصبح معاديًا لليهود بعد ارتداده، واقترح عدة إجراءات للتعامل معهم، وهي: وعظهم وعزلهم وإثارة الغوغاء عليهم(10)، ولديّ هنا الأسئلة المطروحة ذاتها، والمتعلقة باضطهاد اليهود وعزلهم ومعاملتهم بعنف دون أسباب مذكورة.

لقد كانت هناك كلمات ترد كثيرًا في الموسوعة بأجزائها الاثنين والعشرين، فوردت كلمة الاضطهاد **Persecution** أو إحدى مشتقاتها (مضطهَد، مضطهِد، مضطهدون، اضطهد) 2450 مرة، وكلمة «المعاناة» **Suffering** أو إحدى مشتقاتها (يعاني، عانى، يعانون) 2774 مرة، ووردت كلمة معادي لليهودية **Anti-Jewish** 1729 مرة، وكلمة مذبحة أو مذابح **Pogrom** 1309 مرة، عدا الكلمات الأخرى التي على شاكلة: قتل، ونفي، وتهجير، وحرمان، وظلم، واعتداء، ومعاداة السامية، فلماذا ترد هذه الكلمات كثيرًا في الموسوعة اليهودية؟

وفي معرض الحديث عن يهود حلب، تقتطف الموسوعة أجزاءً منفصلة من تاريخهم هناك، والذي يتباين بين الغنى والفقر، وبين الازدهار والتراجع العلمي، ولكن الاضطهاد والعنف والانعزال حاضران دائمًا، ونذكر هنا مثالًا أوردته الموسوعة: «كان تعداد مجتمع اليهود في حلب حوالي عشرة آلاف نسمة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في 1947م. وفي ذروة العنف ضد اليهود في ديسمبر 1947م، تم تدمير كل الكنس، وهرب ستة آلاف يهودي من المدينة. وعَبَرَ الكثير منهم الحدود نحو تركيا ولبنان، حيث استقروا، أو أكملوا نحو إسرائيل، أو أوروبا، أو أمريكا. وفي 1 ديسمبر 1947م، اندلعت أعمال الشغب ضد اليهود في الحي اليهودي في حلب. وتم تدمير حوالي مئة وخمسين مبنى، وخمسين بقالة ومكتب، وعشر كنس، وخمسة مبانى، وتم حرق مئة وستين مخطوطة توراتية من كنيس بحسيتا. وحافظ قادة المجتمع على «كتير آرام زوفا» الشهيرة (11)، والذين بفضل جهودهم وصلت المخطوطات إلى إسرائيل. أفادت منظمة التلغراف اليهودية في تشرين الثاني 1947م أن اثنين وعشرين يهوديًا من حلب تم اعتقالهم عند محاولتهم عبور الحدود بين لبنان وإسرائيل. هناك تقارير أخرى حول العديد من اليهود من حلب الذين حاولوا الهرب إلى إسرائيل. وقد عانى اليهود أيضًا في عهد العقيد أديب الشيشكلي (1954 - 1949م)»(12).

وبالإضافة إلى الأسئلة المطروحة سابقًا عن حقيقة اضطهاد اليهود والأسباب غير المذكورة له، وعن حقيقة ومدى عزلة اليهود عن مجتمعهم، وهي الأسئلة التي تركتها كل النصوص السابقة تقريبًا، هناك سؤال آخر جديد حضرني هنا في معرض الحديث عن تقارير منظمة التلغراف، حيث وردت لفظة «إسرائيل»، فهل كانت إسرائيل قائمة عام 1947؟ أم أن اسمها كان فلسطين؟ وبالعودة إلى الصفحة 615 من الموسوعة - وفي معرض الحديث عن يهود حلب أيضًا- تقول: «ابتدع الكثير من الباحثين في المجتمع آداب جديدة. وكان هناك حاخامات ابتكروا آداب دينية جديدة أيضًا. معظم هؤلاء الباحثين استقروا في أرض إسرائيل»، وهذه الأحداث - برواية الموسوعة اليهودية - في فترة ممتدة بين عشرينيات القرن السادس عشر ومنتصف القرن السابع عشر الميلاديين، فهل كانت تُدعى «إسرائيل» في ذلك الوقت؟ أم كان اسمها فلسطين؟ لا شك أنها كانت تدعى فلسطين، وأن الدولة اليهودية الحديثة أخذت اسمها بعد 1948م.

وهناك إشارات أخرى لاسم «إسرائيل» - كدولة - في غير موضعه، وفي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عصور مختلفة لم تكن الدولة اليهودية المعاصرة موجودة حينها، ولا كانت دولة «طالوت»القديمة موجودة أيضًا، ومنها على سبيل المثال؛ عند الحديث عن الأب «بارأحا»، تورد الموسوعة أنه ولد في «أرض إسرائيل»، في القرن الثالث الميلادي(13)، وفي الصفحة نفسها إشارة إلى هجرة الأب «بار أبينا» في القرن الثالث إلى «أرض إسرائيل»، بينما لم تكن إسرائيل موجودة في القرن الثالث الميلادي، وكانت المنطقة تحت الحكم الروماني، واسمها فلسطين، فإلى ماذا تهدف الموسوعة اليهودية بعبثها بالمصطلحات؟

وبقراءة الجزء الأول كاملًا من الموسوعة اليهودية، نجد أنه يحتوي على أسماء دول أو مدن أو أحياء أو مقاطعات شملت العالم الحديث كله تقريبًا، ورد لبعضها توصيف كامل ومستقل، وورد ذكر لبعضها الآخر كأماكن عاشت فيها شخصيات جاء توصيفها في الموسوعة، ونذكر هنا بعض الأماكن التي جاءت بتوصيف مستقل على سبيل المثال لا الحصر؛ ورد ذكر جزيرة عبادان الإيرانية (ص 224)، ومدينة عكا الفلسطينية (ص 364)،ومدينة عدن اليمنية (ص 387)، ومدينة «أديلايد» الأسترالية (ص 385)،ودولة أفغانستان (ص 432)، ومنطقة «أجان» الفرنسية (ص 449)، ومقاطعة «جرجنت» في «صقلية» الإيطالية (ص 502)، ومدينة «أحمد نجار» الهندية (ص 547)، ومدينة «ألبرتا» الكندية (ص 589)، ومدينة «ألباكركي» المكسيكية (ص 597)، ومدينة حلب السورية (ص 613)، ومدينة الإسكندرية المصرية (ص 632)،وهذا بالإضافة للكثير من المدن القديمة البائدة، ولكن ما هو المشترك بين الجماعات اليهودية التي عاشت في كل هذه الأماكن في الأرض لتُجمَع بين دفتي كتاب واحد؟

وبالإضافة إلى أن هذه المجتمعات اليهودية كلها - المذكورة في الموسوعة - لا يجمعها مكان واحد، فهي كذلك غير مشتركة في الزمان أيضًا، فقد تواجدت في فترات متباينة تمتد من القرن الثالث عشر قبل الميلاد - حسب الروايات الدينية اليهودية - أو القرن الأول الميلادي اعتمادًا على الشواهد التاريخية، وتستمر حتى يومنا هذا، وليس بين هذه المجتمعات المختلفة صلات دم، بل إنهم أعراق مختلفة ومنفصلة، ففيهم مثلًا اللاتينيون والجرمان والعرب والكوش، إن المشترك الوحيد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بين هذه المجتمعات الواردة في الموسوعة هو أنهم يدينون باليهودية، ويبدو أن اليهودية - كعامل جوهري مشترك - هي الأساس الذي اعتمدت عليه الموسوعة اليهودية في التأريخ، فقد ورد مصطلح «التاريخ اليهودي» 1892 مرة في الموسوعة بكاملها، وعلى الرغم من وروده ملحقًا بمنطقة في بعض الأحيان، مثل التاريخ اليهودي الأمريكي، أو التاريخ اليهودي في شرق أوروبا، إلا أنه غالبًا ما كان يأتي بدلالته المطلقة، بالإضافة إلى ورود مصطلحات أخرى في الموسوعة تدور حول اليهودية كعامل مشترك، مثل؛ «الأدب اليهودي»، وقد يُفهَم وجود مصطلحات دينية يهودية مشتركة عبر التاريخ والجغرافيا، مثل: التصوف اليهودي، أو الدراسات التوراتية، كما يُفهَم وجود مصطلحات تشير إلى التأريخ لدولة أو منطقة جغرافية، مثل: تاريخ فلسطين، أو تاريخ الشرق الأوسط، ولكن ما هو التاريخ اليهودي؟ هل هو تاريخ كل اليهود بأعراقهم وطوائفهم الدينية والبلدان التي عاشوا فيها - حتى كأقليات - بمختلف الفترات الزمنية؟ وعلى هذا النحو، هل نتخيل مصطلح يسمى «التاريخ الإسلامي»، أوسع من تاريخ «الدولة الإسلامية» - صاحبة الأرض الواحدة- المعروف في الأدب والأكاديميا، من حيث شموله لأقليات المسلمين في الصين والهند والتبت وأستراليا وأثيوبيا وأمريكا وغيرها، إذًا فنحن في هذه الحالة سنواجه مصطلح يشمل تاريخ العالم كله بدءًا من القرن السابع الميلادي.

نتائج الاستقراء

خَلُصَ استقراء الموسوعة اليهودية إلى عدة نتائج، وهي:

- هناك إشكالية عميقة في الفكر اليهودي تُدعى «التاريخ اليهودي»، وهي إشكالية إبراز اليهود عبر العصور والأماكن المختلفة على أنهم أصحاب تاريخ مشترَك، وهذه الإشكالية قائمة على إيجاد ارتباط بين كل ما هو يهودي، بغض النظر عن التاريخ والجغرافيا، فالتاريخ اليهودي يتعامل مع يهود «الفسطاط» في القرن الحادي عشر ويهود «وارسو» في القرن العشرين ويهود «جوهانسبيرغ» في القرن الواحد والعشرين على أنهم مجموعة واحدة، تشترك بيهوديتها، ويتجاهل كل ما هو غير ذلك، مثل: العرق والطائفة الدينية والدولة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحاكمة، وهذا على الرغم من وزود إشارات صريحة لاختلاف اليهود العرقي والطائفي في الموسوعة اليهودية، فمثلًا؛ عند الحديث عن «هارون ابن جوزيف هاروفي الأكبر»، وسرد قصته، وهو حاخام عاش بين القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، نجد الموسوعة تسهب في شرح المجادلات القائمه بينه - وهو من القرائين - وبين الحاخاميين، على أمور عدة، منها آلية احتساب الشهور والتقويم، وشرعية الزواج من ابنة الأخ أو الأخت(14)، ونجد أيضًا الخلاف الأخير نفسه-الزواج من ابنة الأخ أو الأخت- مذكورًاعند الحديث عن الأكاديمي القرّاء «هارون بن يهوذا كوسديني»، والذي عاش نهاية القرن الثاني عشر الميلادي (15)، وكذلك نجد ذكرًا لشخصيات تنتمي لطائفة السامريين، فقد ذُكِر مثلًافي الموسوعة «أبو الحسن»، العالم السامري الذي عاش في «صور» اللبنانية في القرن الحادي عشر الميلادي(16).

وكذلك ذُكرت الأعراق المختلفة لليهود صراحةً في الموسوعة، ومن الأمثلة على ذلك ذِكرُ الموسوعة لمغنية الأوبرا «لينا أباربانيلي»من يهود السفرديم(17) -يهود من أصول إسبانية أو برتغالية- والكاتب الفرنسي المغربي «إليت أبيكاسيس»، والمولود لعائلة سفردية(18)، ومن يهود الأشكناز - يهود تعود أصولهم إلى شرق ووسط أوروبا- تذكر الموسوعة الراهبة الصوفية «ريتشل أبيرلين»، والتي عاشت في القرون الوسطى، بين اليونان وفلسطين وسوريا(19).

• ومن صفات ذلك التاريخ اليهودي المزعوم الاستمرارية، لأنه يربط الأحداث بين المجموعات اليهودية بشكل متصل منذ وصول إبراهيم عليه السلام إلى فلسطين - أي قبل ظهور الديانة اليهودية- حتى يومنا هذا، على الرغم من عدم وجود ما يكفي لجعل تلك الأحداث المرتبطة متصلة، فلا يوجد دولة يهودية يؤرَخ لها إلا لفترات قصيرة من التاريخ.

• يقوم منهج التأريخ للتاريخ اليهودي المشترك المزعوم على إيجاد شخصية أو

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مجموعة بارزة تدور حولها الأحداث، ولصق الأحداث التاريخية معًا بتجاهل تام لعامل المكان، والبحث عن اضطهاد ما لهذه المجموعة، أو صُنعه، وبدون إظهار أسباب ذلك الاضطهاد؛ وهذا لإضفاء بُعد تراجيدي على هذا التاريخ المزعوم، وإيجاد سبب للهجرة من هذه البلدان، والتجمع في مكان واحد، وهو إسرائيل؛ بالإضافة إلى كسب الرأي العام؛ لنجد أن الصورة المُصدرَة لهذا التاريخ هي سلسلة من المصائب التي حلت بهذا «الشعب» -كما تسميه الموسوعة- من السبي البابلي، وحرق «تيتوس» للقدس، وصولًا إلى الهولوكوست، فضلًا عن خلق مصطلحات لها البعد المأساوي نفسه، مثل «الشتات»، أو التركيز على هذه المصطلحات وتكرارها بشكل مبالغ فيه.

• وبناءً على هذا الظلم المزعوم تنتج شخصية يهودية بصفات معينة مشتركة، لنجد الأكاديميا العبرية، والغربية في بعض الأحيان، وربما العربية أيضًا، تُصَوِّرُ اليهودي بأنه ذلك الروحاني المتدين المقتصِد المضطهَد من الجميع، والذي أجبره العالم كله قسرًا على العزلة، لنجد أنفسنا أمام قضية جديدة، وهي «الجوهر اليهودي»، وقد أشار عبد الوهاب المسيري إلى مصطلح الجوهر اليهودي باعتباره «مجموعة الخصائص الثابتة في ظاهرة ما أو هو ما لا يتغير بتغير المكان أو الزمان. وفكرة الجوهر اليهودي الخالص (الثابت) هي فكرة كامنة وراء العديد من المفاهيم والمصطلحات والنماذج التفسيرية المستخدمة في دراسة الجماعات والعقائد اليهودية، مثل: «التاريخ اليهودي»، و«الشخصية اليهودية»، و«العبقرية اليهودية»، و«الجريمة اليهودية»، و«الشعب اليهودي»، و«العِرق اليهودي»، و «الإثنية اليهودية». فكل هذه المصطلحات تفترض وجود هذا الجوهر اليهودي الخالص الثابت الذي يجعل من يهودية اليهودي النقطة المرجعية الأساسية لتفسير سلوكه(20).

• وهذا التاريخ اليهودي المزعوم يتعامل مع اليهود كأنهم يعيشون وحدهم، وكأن ليس لهم علاقة بالدول التي يعيشون فيها كأقليات، فلا يتحدث هذا التاريخ عن أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية والدينية والحضارية والعلمية والسياسية مقارنةً بغيرهم من سكان الدولة التي يعيشون فيها، ويعزلهم عن الصراعات والتحالفات الكبرى، وعن موازين القوى الدولية، ويأخذ جزءًا صغيرًا من تلك الصورة الكاملة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لفترة تاريخية ما، وهذا بالطبع يسهل جعل ذلك الجزء منتقى، ويصور الجماعات اليهودية في كل مكان بأنها مضطهدة ومظلومة، وأن خلاصها هو الدولة المستقلة أو «أرض إسرائيل» المزعومة، وهذا ما يخدم المسألة الصهيونية المعاصرة.

• وهذا التاريخ الوهمي المشترَك المستمر والمنعزل عن سياقه الحضاري يواجه بلا شك -لاعتماده على الميثولوجيا الدينية بدلًا من المعايير العلمية- العديد من الفجوات لإظهار الحق اليهودي في فلسطين وتبرير الأيديولوجيا الصهيونية، فيقوم بملء تلك الفجوات باعتماده الجوهري على الخلط المريب بين المصطلحات، فنجد كلمات مثل (يهودي، وإسرائيلي، وصهيوني، وعبري) ترد كثيرًا في غير مواضعها، وغالبًا ما تشير إحداها إلى أخرى، وقد تفاقمت الأزمة حد اختراع مصطلحات جديدة فضفاضة تشير إلى عدة أشياء في آن واحد لملء تلك الفجوات التاريخية، وأبرز هذه المصطلحات «عبراني»، والذي يشير إلى كل الساميين الذين سكنوا بلاد كنعان، ويصمم اليهود على احتكاره، متجاهلين سامية العديد من الشعوب المعاصرة مثل العرب والسريان، وغيرهم من الأقليات، وخالطين مرة أخرى بين اليهود كأتباع دين معين وبني إسرائيل كأبناء عرق معين.

• وأزمة المصطلحات هذه تفضي إلى دلالات مشبوهة يعتريها الغموض، فالآرامية أصبحت تشير إلى لغة يهودية مقدسة، واليهود أصبحوا امتدادا مباشرا ومحتكرًا للساميين، والعبرية أصبحت فرعًا أصيلًا من اللغات الكنعانية، واليهود أصبحوا أبناء يعقوب عليه السلام ، وعملة الدولة الصهيونية أصبحت شيكل، والجماعات اليهودية كلها تم اختزالها بـ «اليهود»، وقد أصبح بديهيًا توظيفُ أزمة المصطلحات تلك سياسيًا لإضفاء شرعية دينية وتاريخية للدولة الصهيونية المعاصرة، وهذا نجده صراحةً في الموسوعة اليهودية، في معرض الحديث عن إسرائيل، حيث تورد الموسوعة: «عندما كبر الأحفاد المباشرون ليعقوب (سفر الخروج 1:1) - وهو إسرائيل الذي أخذ لقبه الشرفي بعد صراعه مع الملاك(21) - ليصبحوا شعوبًا أصبحوا يُدعون «شعب أبناء إسرائيل» (سفر الخروج: 1: 9)، ومن الآن فصاعدًا، بعد انقسام المملكة تحت حكم رحبعام فإن «إسرائيل» أو «أبناء إسرائيل» هم دلالة على ما يعرف الآن بالشعب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اليهودي»(22).

وهي مغالطة كبيرة جدًا، فاليهود ديانة اتبعها الكثير من الأعراق في العالم، بينما أبناء إسرائيل هم عرق منفصل يتبع ديانات مختلفة اليوم، وليس بالضرورة أن يكونوا جميعًا يهود، وهو خلط سياسي محض بين المصطلحين، وهي النتيجة نفسها التي خلص لها جمال حمدان في كتابه «اليهود أنثروبولوجيًا»، حيث قال: «إن اليهود اليوم إنما هم أقارب الأوروبيين والأمريكيين، بل هم في الأعم الأغلب بعض وجزء منهم وشريحة، لحمًا ودمًا، وإن اختلف الدين. ومن هنا فإن اليهود في أوربا وأمريكا ليسوا كما يدعون غرباء أو أجانب دخلاء يعيشون في المنفى وتحت رحمة أصحاب البيت وإنما هم من صميم أصحاب البيت نسلًا وسلالة، لا يفرقهم عنهم سوى الدين، أما أين يمكن أن يكون اليهود غرباء في منفى ودخلاء بلا جذور فذاك في بيت العرب وحده، في فلسطين حيث لايمكن لوجودهم إلا أن يكون استعمارا واغتصابا بالقهر والابتزاز. وغير هذا قلب بشع لحقائق التاريخ أنثروبولوجيا وغير أنثروبولوجي.

وانطلاقا من هذا يسقط كذلك ادعاء سياسي للصهيونية في (أرض الميعاد) فبغض النظر عن أن القانون الدولي يتكفل بشجب وتفجير ادعاءاتهم في أي أساس تاريخي أو ديني، فإن الأنثروبولوجيا تبدد أي أساس جنسي قد يزعمون في هذا الصدد. فمن ناحية ليس اليهود قومية ولا هم شعب أو أمة، بل هم مجرد طائفة دينية تتألف من أخلاط من كل الشعوب والقوميات والأمم والأجناس. ومن ناحية أخرى فلا علاقة لهم جنسيا أو أنثروبولوجيا بفلسطين. وهم أجانب غرباء عنها دخلاء عليها مثلما يعد الأوروبيون أو الأمريكيون بالنسبة إليها. وهم حين يغتصبونها ليخلقوا منها إسرائيل الصهيونية، فليست هذه عودة الابن القديم بعد رحلة طالت عبر الزمان والمكان، وإنما هي غزو الأجنبي الغريب بالإثم والعدوان»(23).

إن ذلك التاريخ الوهمي المزعوم هو الذي خلق تلك الفكرة التي بُنيَ عليها وجود تمثال لهاليفي في الدولة اليهودية المعاصرة، فذلك التاريخ يحتاج إلى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رموز تدعم فكرته، وإني وإن كنت قد بدأت هذا الكتاب بملاحظة لتمثال هاليفي في فلسطين المحتلة، إلا أنني بنهاية بحثي صادفت طرقًا أخرى للاحتفاء بشخصيات يهودية لا تمت للدولة اليهودية المحتلة بأية صلة، مثل: وجود حديقة باسم «سيمون دوبنوف»(24) في تل الربيع، ووجود شارع باسم الغاون «سعديا الفيومي»(25) في تل الربيع، وشارع آخر على اسم الشاعر اليهودي الروماني «أليعازر هاكالير» في تل الربيع، وشارع آخر يحمل اسم «شلومو بن جبيرول»(26) في تل الربيع، وللمفارقة فإن لهذا الرجل تمثال في «ملقة» في إسبانيا أيضًا.

الموسوعة وإشارات أخرى

فهل كان اليهود منعزلين ومضطهدين فعلًا كما صورتهم الموسوعة اليهودية؟ وهل كانوا يعيشون وحدهم في مجتمعاتهم المغلقة؛ بأسوارها أو معتقداتها؟ وهل كانت صِلاتهم بشعوب الدول التي يعيشون فيها معدومة؟ولكن ماذا عن تلك الإشارات التاريخية الكثيرة من هنا وهناك على اندماج المجتمعات اليهودية في الدول التي عاشت بينها؟ وتأثُر اليهود كثيرًا بالأديان واللغات والثقافات المحيطة؟فمثلًا؛ أورد «ويل وإيريل ديورانت» في كتابه «قصة الحضارة» أن بعض اليهود عبدوا «بعل»، وهو إله في الميثولوجيا السامية، عبده الكنعانيون والفينيقيون والأوغاريتيون، كما ذكروا أن بعض اليهود عبدوا العجل والأفعى والكبش والحمل والأصنام(27)، وقد تحدثت الأقليات اليهودية لغة الدولة التي كانوا يعيشون فيها، بالإضافة إلى العبرية في بعض الأحيان، وليس دائمًا، ولطالما نجد في التراث العربي إشارات إلى شعراء يهود نظموا الشعر بالعربية، ومن ذلك قصيدة «السموأل بن عادياء الحارثي»، والتي يقول في مطلعها(28):

إذا المَرءُ لَم يُدنَس مِنَ اللُؤمِ عِرضُهُ

فَكُلُّ رِداءٍ يَرتَديهِ جَميلُ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وَإنْ هُوَ لَم يَحمِل عَلى النَفسِ ضَيمَها

فَلَيسَ إلى حُسنِ الثَنـاءِ سَبيـلُ

تُعَيِّـرُنـا أنّـا قَليـلٌ عَـديـدُنـا

فَقُلـتُ لَها إنَّ الكِـرامَ قَليـلُ

وَما قَلَّ مَن كانَت بَقاياهُ مِثلَنـا

شَبـابٌ تَسامـى لِلعُلـى وَكُهـولُ

وَما ضَرَّنا أنّا قَليـلٌ وَجـارُنـا

عَـزيـزٌ وَجـارُ الأكثَـريـنَ ذَليـلُ

لَنـا جَبَـلٌ يَحتَلُّـهُ مَـن نُجيـرُهُ

مَنيـعٌ يَـرُدُّ الطَـرفَ وَهُـوَ كَليـلُ

وهي ليست قصيدة عربية اللغة فقط، بل إنها مشبعة بالثقافة العربية الجاهلية، ففيها ذلك الفخر الجماعي بالكرم والشجاعة وحماية الجار، وتلك الإشارات إلى مقتضيات الشرف، والتي عرفناها في قصائد الشعراء الجاهليين عامةً، لذا لا نكاد نفرقها عن غيرها من قصائد تلك الفترة في ذلك المكان؛ موضوعًا وبنيةً، فلا يبدو أن السموأل - وربما غيره من يهود ذلك الزمان - قد تأثروا بيهوديتهم في شعرهم بمقدار تأثرهم بالثقافة العربية المحيطة، والتي تعتبر اللغة إحدى ركائزها الرئيسية.

وحول العالم وعبر التاريخ نجد أغلب مؤلفات اليهود بلغات أقوامهم، وليس بالعبرية، وكذلك فعل المؤرخ الروماني اليهودي «يوسفوس فلافيوس»، والذي عاش في القرن الأول الميلادي، وكتب العديد من الكتب بالإغريقية -التي كانت لغة العلم والأدب في الإمبراطورية الرومانية - مثل كتاب «آثار اليهود»، وكَتَبَ سعديا الفيومي - الحاخام والفيلسوف المصري ورئيس أكاديمية سورا في بابل في القرن العاشر الميلادي - كتبه باللغة العربية، أو باللغة العربية بحروف عبرية، وما يزال اليهود المنتشرون في أوروبا وأمريكا يكتبون باللغات الأم للدولة التي يعيشون

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فيها حتى يومنا هذا، والأمثلة عليهم كثيرة لا تعد ولا تحصى، وليست حالات نادرة، ولكننا نخشى الإطالة، فنكتفي بالإشارة السريعة المختصرة بذكر «نعوم تشومسكي»، اليهودي الأمريكي الذي كتب العديد من كتبه بالإنجليزية.

ولم يقتصر أمر الكتابة بلغات غير العبرية على الكتب الدنيوية فقط، بل وصل إلى الكتب الدينية المقدسة أيضًا، فنجد أن أسفار العهد القديم - التوراة والتلمود - لم تُكتَب كلها بالعبرية، بل كُتِبَت بالكلدانية والآرامية والكنعانية، وكذلك الإنجيل الذي جاء في بني إسرائيل أنفسهم، حتى ولو لم يؤمن به أتباع الديانة اليهودية، إلا أنه جاء كما يُفترَض وسط متحدثي العبرية في العالم، ولكننا نجد أن لغاته الأصلية هي الآرامية والإغريقية، مع أنه وتبعًا لفرضية الانعزال المادي والثقافي التي يقدمها الفكر اليهودي، فإن كاتبيه من المفترض أن يتكلموا العبرية، أما كتاب التصوف اليهودي - القبّالاه - الأهم، والذي يدعى «الزوهار»، فهو مكتوب بالآرامية، وعلى الرغم من ظهوره في القرن الثالث عشر الميلادي، إلا أن هناك فرضيات مهمة ترجع كتابته إلى قبل ذلك بكثير، فلماذا لم يكتَب بالعبرية؟

وهذه الملاحظات السابقة تصطدم مع الفكر اليهودي الذي تقدمه الموسوعة اليهودية، وتثير عاصفة هوجاء من الأسئلة حول انعزال المجتمعات اليهودية كنتيجة لاضطهادهم وظلمهم، فما هي حقيقة هذا الانعزال؟ يحاول الباب الثاني من هذا الكتاب الإجابة عن هذا السؤال، بتقديمه دراسة حالة تحليلية ونقدية معمقة للشعر العبري الذي نظمه شعراء عاشوا في الأندلس تحت الحكم الإسلامي، منذ وصول المسلمين إلى الأندلس بداية القرن الثامن الميلادي حتى موت يهوذا هاليفي في منتصف القرن الثاني عشر.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الباب الثاني دراسة حالة للشعر العبري في الأندلس

لقد قمنا باختيار الشعر عند اختبار فرضية انعزال اليهود لافتراض منا أن اندماج الأدب هو انعكاس مباشر لاندماج ثقافات المجتمع، وأن الأدب بشكل عام - ومنه الشعر بطبيعة الحال - هو آخر ما يندمج بين ثقافتين، فقد تفرض الحاجة للتعايش بين ثقافتين درجاتٍ كبرى من الاندماج الاقتصادي أو السياسي، أو كليهما معًا، ولكنها - الحاجة للتعايش - لا تستدعي درجات عالية من الاندماج الأدبي، الذي لا يمكن أن تفرضه حاجة، ولا يعني إلا التعايش المقبول والاختياري والمرضي عنه، ولذلك فإن دراسة فرضية الاندماج اليهودي عن طريق الأدب تعتبَر أقل تحيزًا من دراستها من نواحٍ أخرى.

ويبدأ الفصل الأول من هذا الباب بسرد سريع لتاريخ شبه الجزيرة الأيبيرية - إسبانيا والبرتغال - ولتاريخ اليهود فيها، وذلك لعظيم الصلة بين الماضي والحاضر، ولما للأحداث التاريخية من أثر مهم ومباشر على الأحداث المعاصرة وعلى الهوية الحالية لأي مجتمع، وهي الفرضيات نفسها التي استند عليها المنهج التاريخي في دراسة الظواهر المعاصرة، كما يهمنا أيضًا من دراسة تاريخ يهود أيبيريا معرفة أحوال المجتمع الأيبيري اليهودي وقت وصول المسلمين، لما في ذلك من أهمية في افتراض موقفهم -وما بني عليه- من هذا الوصول.

ويناقش الفصل الثاني من هذا الباب مظاهر تحضر المجتمع اليهودي في الأندلس، على اعتبار أن الشعر - والفن عمومًا- هو نتيجة حضارية لتطور الإدارة السياسية، ثم الاكتفاء الاقتصادي، وهي العناصر التي لا يتطور الأدب بدونها، وقد شكل هذا التسلسل ملامحَ المنهج الحضاري في دراسة الشعر، والذي قدمناه في كتابنا «صنعة الشعر العربي: تأثير الحضارة والثقافة»(29).

أما الفصل الثالث فيقدم للشعر العبري، ويتتبع حال اللغة العبرية، ثم يعرّف الشعراء اليهود في الفترة الممتدة من بداية القرن الثامن حتى منتصف القرن الثاني عشر، علمًابأن الشعراء الذين أوردناهم كلهم كتبوا شعرًا بالعبرية، أما شعراء اليهود الذين كتبوا شعرهم كله بالعربية فقط فقد استثنوا من هذا العرض، ولم يُشمَلوا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في هذا الكتاب، كما يقدم الفصل الثالث أيضًا دراسة ثقافية مقارنة بين الشعرين العربي والعبري في الأندلس، ويفحص وجود أثر ما لإحدى الثقافتين الشعريتين على الأخرى.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الأول نظرة تاريخية على الجزيرة الأيبيرية

ما قبل التاريخ

تم العثور على أحافير وأدوات حجرية تخص ستة أشخاص على الأقل في أحد كهوف جبال «أتابويركا»، في شمال إسبانيا، في تسعينيات القرن الماضي، وتدل تلك الأحافير أن أولئك الأشخاص عاشوا في أتابويركا قبل ثمانمائة ألف سنة على الأقل، مما يشير إلى أقدم تجمع إنساني معروف في غرب أوروبا (30)، وهذه الفترة -قبل ثلاثمائة ألف سنة من الآن- تأتي في نطاق العصر الحجري القديم السفلي، أي أنها أقدم فترة في العصر الحجري، والذي ينقسم إلى قديم وحديث، والقديم ينقسم إلى سفلي ووسيط وعلوي-بالترتيب الزمني من الأقدم إلى الأحدث-والعصر الحجري هو العصر الذي اعتمد الإنسان فيه على الأدوات المصنوعة من الحجارة، وعلى استخدام النار في حياته اليومية.

تتابعت عصور «ما قبل التاريخ» - كما يسميها المؤرخون - فانتهى الحجري وجاء بعده النحاسي، ثم البرونزي، ثم الحديدي، ثم بدأ «التاريخ القديم» بانتهاء العصر الحديدي، وكان لكل عصر مميزاته، وهوية خاصة به فرضها شكل الحياة فيه، ويدل اسم كل عصر على تلك الهوية، وأغلب الأحداث في تلك العصور مجهولة وافتراضية، وما تزال محل جدل في الأوساط الأكاديمية، لذلك من غير المعروف تمامًا كيف كانت الحياة على شبه الجزيرة الأيبيرية -ولا غيرها- في تلك الأزمنة الموغلة في القِدَم.

التاريخ القديم

يؤرَخ لفترة التاريخ القديم بانتهاء العصر الحديدي، أي بدءًا من القرن الثالث قبل الميلاد في أغلب مناطق العالم، ونقول أغلب مناطق العالم لأن العصور لا يفصلها زمان مطلق، بل تنتهي بمظهر معين، لذلك فانتهاؤها لم يكن متزامنًا في العالم كله، وقد كان بدء الكتابة هو ذلك المظهر الذي يفصل بين فترتي ما قبل التاريخ والتاريخ القديم، ويورد «بوسك» في كتابه «تاريخ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إسبانيا والبرتغال: من 1000 قبل الميلاد إلى 1814 للميلاد» أن الحضارات التي كانت تسود العالم في فترة التاريخ القديم قد وصلت إلى شبه الجزيرة الأيبيرية وحكمتها، ففي عام 1000 قبل الميلاد كانت أول مستعمرات فينيقية وقرطاجية في شبه الجزيرة(31)، والفينيقيون هم شعوب سامية، سكنوا بلاد الشام منذ 2500 قبل الميلاد، وبنوا حضارة عظيمة بلغت أوجها نهاية القرن الثاني وبداية القرن الأول قبل الميلاد، وكانت عاصمتهم الجبيل ثم صور - وهي مدن تتبع الجمهورية اللبنانية اليوم - وقد كان الفينيقيون يبنون موانى على البحر الأبيض المتوسط أو يسيطرون على المدن هناك، تسهيلًا لهم في أعمالهم التجارية، فحكموا عدة مدن ساحلية، مثل؛ «جنوا» و «مرسيليا» و «قسنطينة» و «لارنكا» و «فينيقية» - وهذه الأسماء المعاصرة لتلك المدن، بينما تختلف أسماؤها في ذلك الزمن - ووصل الفينيقيون إلى أيبيريا أيضًا وسيطروا على العديد من مدنها مثل؛ «لشبونة» و «تاويرا» و «الغارف» في البرتغال، و «ألميريا» و «سبتة» و «أليكانتي» و «قادِس» و «إبيثا» و «روتا» في إسبانيا، وقد كانت قرطاج - وهي مدينة تونسية اليوم - هي أشهر وأهم هذه المدن الفينيقية، وهي مدينة تأسست عام 814 ق.م، وسرعان ما استقلت عن الحكم الفينيقي، وكونت حضارة مهمة وقوية إلى أن دمرها الرومان عام 146 قبل الميلاد، أما الفينيقيون فقد انتهت دولتهم قبل ذلك، وتحديدًا بغزو الفرس لهم عام 539 قبل الميلاد، وتفتت دولتهم إلى مدن ضعيفة سرعان ما زالت، وقد تقاسم الإغريق - الذين كان يتعاظم نفوذهم نهاية الألف الأول قبل الميلاد - حكمَ المدن الأيبيرية مع الفينيقيين والقرطاجيين.

وفي القرن الثاني قبل الميلاد كانت قوة الإمبراطورية الرومانية الغربية تتعاظم، وكان عام 146ق.م نقطة فارقة في تاريخهم، فقد قضوا على القرطاجيين كما أسلفنا، وانتصروا كذلك على الإغريق، وقد غيرت سلسلة انتصاراتهم تلك شكلَ العالم، الذي حكموه وأصبحوا سادته، وكان مما حكموا أيضًا أيبيريا، وقد عانت الإمبراطورية الرومانية الغربية من الضعف نهاية القرن الخامس الميلادي، حتى ضمها الشرقيون لإمبراطوريتهم عام 480م، لتنتهي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإمبراطورية الغربية رسميًا، ويبدأ عصر الإمبراطورية الرومانية الشرقية، ولكن الإمبراطورية الشرقية لم تسيطر على كل الأراضي التي كانت تحت نفوذ الإمبراطورية الغربية، فككل الدول الضعيفة غير المستقرة كانت الإمبراطورية الغربية في نهايات تاريخها تتعرض لهجمات القوط(32) الذين استطاعوا الانتصار على الإمبراطورية الرومانية الغربية في سلسلة من المعارك، وحُكم العديد من المناطق التابعة لها، ومن ضمنها أيبيريا، بدءًا من عام 409 للميلاد.

وصول المسلمين

ظهر الإسلام في القرن السابع الميلادي في الجزيرة العربية، ثم تكونت الدولة الإسلامية التي سرعان ما أصبحت قوة عظمى في العالم في فترة قصيرة، وشأنها شأن كل الدول القوية المسيطرة أخذت بالاتساع ونقل ثقافتها إلى الدول المجاورة، ويورد ابن الأثير الجزري في كتابه «الكامل في التاريخ» أن الدولة الإسلامية قد وصلت زمن الحكم الأموي إلى شمال قارة أفريقيا مطلع القرن الثامن الميلادي، بقيادة حسان بن النعمان الغساني قائد جيوش الخليفة الوليد ابن عبد الملك، والذي عزله عبد العزيز بن مروان - والي مصر - لاحقًا، وولّى مكانه موسى بن نصير، الذي استقر بحكم أفريقية، ثم أكمل الانتصارات الإسلامية، فوصل إلى العديد من جزر البحر الأبيض المتوسط التابعة اليوم لإسبانيا وإيطاليا، ودخل المغرب، ووصل إلى طنجة، التي انتصر فيها وولّى عليها طارق بن زياد، ثم أرسل كونت سبتة «يوليان القوطي» إلى موسى بن نصير يشير عليه بالتوغل في أيبيريا، وذلك لخلافات بين يوليان و «رودريك» ملك القوط، وعلى إثر الرسالة أمر الوليدُ موسى بعبور البحر واستكشاف أيبيريا قبل دخولها، فأرسل موسى طريفَ المعافري عام 710م، والذي نزل على جزيرة «لاس بالوماس»، ثم عاد بأنباء عن ضعف القوى الأيبيرية، مما ترتب عليه اتخاذ موسى قرار السيطرة على أيبيريا، وسرعان ما أرسل موسى جيشًا يقوده طارق بن زياد، والذي انتصر على القوط وسيطر على الأندلس عام 711م، وسميت جزيرة لاس بالوماس بجزيرة طريف، وسمي المضيق البحري الذي يربط البحر الأبيض المتوسط بالمحيط الأطلسي، والذي عبره طارق بن زياد باسمه؛ مضيق جبل طارق، وهي أسماء ما تزال موجودة إلى يومنا هذا، وقد خضعت الأندلس بعد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السيطرة عليها للحكم الأموي، شأنها شأن الولايات الجديدة، ولكن الضعف الذي لحق السلطة في دمشق أجبر الأندلس والولايات الأفريقية البعيدة الاعتناء بشؤونها وحدها، فانفصلت الأندلس عن الحكم الأموي في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك.

وسرعان ما انهارت الخلافة الأموية برمتها بعد ذلك بعدة أعوام، وتحديدًا عام 750 للميلاد، بعد انتصار أبو العباس في معركة الزاب على الخليفة الأموي مروان بن محمد، وقد ترتب على هذا الانتصارحُكم العباسيين للعالم الإسلامي، ولكن العباسيين لم يصلوا إلى الأندلس، بل سبقهم إليها الأمير الأموي عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك -ويُلقَّب بـ «عبد الرحمن الداخل» أو «صقر قريش»- واستطاع حُكمَها عام 756 للميلاد، واستمرت سلالته بالحكم إلى عام 1031 للميلاد، وهو العام الذي سقطت فيه الخلافة الأموية في الأندلس إثرَ فتن داخلية قضت عليها، وبسقوط الخلافة الأموية تقسمت الأندلس إلى دويلات صغيرة، مثل: قرطبة وغرناطة وإشبيلية وملقة وسرقسطة وطليطلة، وحكم تلك الدويلات أسر عربية مختلفة، عُرِفُوا بـ «ملوك الطوائف» إلّا أنّ هذه الدويلات سرعان ما بدأت بالسقوط الواحدة تلو الأخرى في أيدي الملوك الأوروبيين المتربصين، وكان آخرها غرناطة، وسقطت الأندلس من أيدي العرب نهائيًا عام 1492 للميلاد(33).

وقد عاش في المجتمع الأندلسي أفرادٌ متعددو الأعراق والأديان، وصلوا إلى شبه الجزيرة الأيبيرية في فترات مختلفة من التاريخ، فكان فيها العرب والأمازيغ والإسبان، والمسلمون واليهود والنصارى، بالإضافة إلى غيرهم من الأقليات.

تاريخ اليهود في شبه الجزيرة الأيبيرية

الوصول

الرواية الدينية

تقول الرواية الدينية اليهودية إنه في مكان ما من العالم القديم كان هناك منطقة اسمها «ترشيش»،وكانت ترشيش هذه على علاقة تجارية مع اليهود،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن هنا بدأت التجمعات اليهودية فيها، ويبدو أن هذه المدينة قد تواجدت لفترات طويلة من الزمن، إذ إنها ذُكِرت في العهد القديم منذ زمن النبي سليمان عليه السلام - الذي عاش في القرن العاشر قبل الميلاد- حيث جاء في سفر الملوك الأول 10: 23 - 21؛ «21وَجَمِيعُ آنِيَةِ شُرْبِ الْمَلِكِ سُلَيْمَانَ مِنْ ذَهَبٍ، وَجَمِيعُ آنِيَةِ بَيْتِ وَعْرِ لُبْنَانَ مِنْ ذَهَبٍ خَالِصٍ، لاَ فِضَّةٍ، هِيَ لَمْ تُحْسَبْ شَيْئًا فِي أَيَّامِ سُلَيْمَانَ. 22لأَنَّهُ كَانَ لِلْمَلِكِ فِي الْبَحْرِ سُفُنُ تَرْشِيشَ مَعَ سُفُنِ حِيرَامَ. فَكَانَتْ سُفُنُ تَرْشِيشَ تَأْتِي مَرَّةً فِي كُلِّ ثَلاَثِ سَنَوَاتٍ. أَتَتْ سُفُنُ تَرْشِيشَ حَامِلَةً ذَهَبًا وَفِضَّةً وَعَاجًا وَقُرُودًا وَطَوَاوِيسَ. 23فَتَعَاظَمَ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ عَلَى كُلِّ مُلُوكِ الأَرْضِ فِي الْغِنَى وَالْحِكْمَةِ»، واستمر ذكر ترشيش في قصص لأنبياء اليهود عاشوا حتى القرن السادس قبل الميلاد، فوردت في إشعياء 2:16، 23:1، 23:14، 60:9، 66:19؛ وإرميا 10:9؛ وحزقيال 27:12، كما ذُكِرَت ترشيش في مواضع مختلفة -لم تخرج عن إطارتلك الفترة - من العهد القديم؛ في سفر مزامير72:10(34)؛ وسفر يونان 1:3، 4:2.

واختلف المؤرخون وعلماء الدين اليهود على تحديد المكان الدقيق لترشيش تلك، وكانت إسبانيا بمختلف مدنها هي أحد الأماكن المطروحة كاحتمال لتواجد ترشيش فيها، وقد ناقش «ريتشارد فروند» في كتابه «التنقيب في التاريخ: علم الآثار والدين من أطلانتس إلى الهولوكوست» التفسيراتِ المختلفة لموقع ترشيش، وخلص إلى أن الأصح هو قول المؤرخ الروماني اليهودي يوسيفوس فلافيوس والمؤرخ الروماني «بليني» - واللذان عاشا في القرن الأول الميلادي - أن المكان الذي كانت فيه ترشيش هو جنوب إسبانيا، وأن التفسيرات الخاصة بتواجد ترشيش في أماكن أخرى هي تفسيرات أقل دقة، ظهرت لاحقًا، ومن هذه التفسيرات أن ترشيش هي قرطاج، وهو التفسير الذي بدأ بالظهور في القرن الثالث الميلادي(35).

والجدير بالذكر أن ترشيش جاءت في مواضع أخرى من العهد القديم لتدل على اسم علم، فقد جاء في سفر التكوين 10:4؛ «وَبنو ياوانَ: أَلِيشَةُ وَتَرْشِيشُ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وَكِتِّيمُ وَدُودانِيمُ».، وياوان هنا هو ابن «يافث بن نوح»، وهو جد الإغريق بحسب الميثولوجيا اليهودية، وورد في سفر أخبار الأيام الأول 7:10؛ «وَابْنُ يَدِيعَئِيلُ بَلْهَانُ، وَبَنُو بَلْهَانَ: يَعِيشُ وَبَنْيَامِينُ وَأَهُودُ وَكَنْعَنَةُ وَزَيْثَانُ وَتَرْشِيشُ وَأَخِيشَاحَرُ»، وبلهان هنا حسب التوراة هو «بلهان بن يديعئل بن بنيامين بن إسرائيل ابن إسحاق بن إبراهيم»، كماوردت لفظة ترشيش لتشير إلى اسم لأمير فارسي في سفر أستير 1:14؛ «وَكَانَ الْمُقَرَّبُونَ إِلَيْهِ كَرْشَنَا وَشِيثَارَ وَأُدَمَاثَا وَتَرْشِيشَ وَمَرَسَ وَمَرْسَنَا وَمَمُوكَانَ، سَبْعَةَ رُؤَسَاءِ فَارِسَ وَمَادِي الَّذِينَ يَرَوْنَ وَجْهَ الْمَلِكِ وَيَجْلِسُونَ أَوَّلًا فِي الْمُلْكِ».

وهذه الفرضية على وجود اليهود في إسبانيا في الماضي القديم ضعيفة جدًا، لاعتمادها الوحيد على المصادر الدينية اليهودية، والتي تعرضت للترجمة والتعديل لقرون من الزمن، فضلًا عن عدم الاتفاق بين مفسري العهد القديم على مكان ترشيش، وبقاء الأمر في دائرة الاحتمالات والتفسيرات، وعلينا أن لا ننسى العوامل السياسية التي تسهم كثيرًا في افتراض من هذا النوع، وعلى الرغم من ضعف الفرضية الدينية لوجود اليهود في إسبانيا في فترة التاريخ القديم إلا أن الأمر غير محسوم بالنفي أيضًا، ليبقى خاضعًا للدراسة والبحث.

الرواية العلمية

لقد ساهم العثور على نقوش قديمة ورد فيها ذكرمدينة ترشيش على عدم اقتصار وجود اسمها على العهد القديم فقط، ليصبح وجودها في العالم القديم مؤكدًا علميًا، ومن تلك النقوش «حجر نورا»، والذي تم العثور عليه في منطقة «نورا» في جزيرة سردينيا التابعة حاليًا لإيطاليا، ويعود النقش الذي عُثِر عليه عام 1773 للميلاد إلى القرن الثامن أو التاسع قبل الميلاد، وهو مكتوب باللغة الفينيقية، وفيه كلمة ترشيش، ولكن العثور على هذا النقش لم يسهم في حسم الجدل الدائر حول المكان المعاصر لترشيش، بل ربما عقّد المسألة أكثر، حيث ساعد على ظهور فرضية جديدة مفادها أن ترشيش هي سردينيا(36)، لتبقى صلة ترشيش بإسبانيا محل جدل وافتراض، ولم تُثبَت بشكل قاطع حتى يومنا هذا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السبي البابلي

جاء الأمر الإلهي لموسى عليه السلام بالعودة مع اليهود من مصر إلى أرض كنعان، فقاد موسى وهارون & هذه العودة(37)، قال الله تعالى في سورة طه: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾﴾، ثم مات موسى وهارون في الطريق إلى أرض كنعان، فقاد يوشع بن نون اليهود، وأكمل بهم نحو أريحا التي سيطروا عليها(38)،واستقروا في أرض كنعان، وبمرور الزمن كونوا دولتهم اليهودية، التي أنشأها طالوت(39) واستمرت هذه المملكة حتى حكمها رحبعام بن سليمان بن داود & لمدة سبع عشرة سنة، إذ انقسمت بعده إلى دولتين، وقد ذكر الطبري أن منهما دولة شكلتها أبناء يهوذا وبنيامين، والدولة الأخرى تشكلت من باقي الأسباط(40)، بينما ذكر ابن الأثير أن الدولة الأولى تشكلت من أبناء سبط يهوذا، والدولة الأخرى كونها أبناء باقي الأسباط الإثنى عشر(41)، وعلى أية حال، فقد انقسمت الدولة إلى دولتين؛ مملكة إسرائيل في الشمال، ومملكة يهوذا في الجنوب.

وبانقسام الدولة اليهودية أصبحت أكثر ضعفًا، فقام الملك البابلي «بختنصر» بغزو أو رسالم - اسم القدس في تلك الفترة التاريخية - وهي القصة التي ذكرها المؤرخون العرب؛ فأوردها ابن كثير(42)، والطبري(43)، وابن الأثير(44)، بأسباب مختلفة، ومهما كانت أسباب هذا الغزو فما يهمنا في بحثنا هذا هو نتيجته، حيث ترتب عليه سبي اليهود إلى بابل كعبيد، فيما عُرِفَ تاريخيًا بـ «السبي البابلي»، وقد نقل ابن كثير عن ابن الكلبي أن بني إسرائيل تفرقوا إلى الحجاز ويثرب ووادي القرى ومصر(45)، وبقي اليهود خارج أرض كنعان حتى أعادهم الملك الفارسي «كيرش» - أو قورش في مصادر أخرى - في القرن السادس قبل الميلاد إليها بعد أكثر من 100 سنة من السبي(46)، وقد سردنا هنا قصة السبي البابلي لبيان أن اليهود استقروا في أرض كنعان ولم يخرجوا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

منها بشكل جماعي ومؤثرقبل السبي البابلي إلا لأغراض تجارية أو دينية فقط، أما استقرارهم خارج هذه المنطقة الجغرافية فقد بدأ بتشريدهم وسبيهم إلى بابل، وغالبًا ما كان استقرارهم وقتها في البلاد القريبة، مثل بلاد الشام ومصر، وكان احتمال وصولهم إلى شبه الجزيرة الأيبيرية واستقرارهم كجماعات ضئيلًا في تلك الفترة، وذلك بسبب البعد الجغرافي بين بلاد كنعان وأيبيريا.

وبعد عودة اليهود مع قورش واستقرارهم في بلاد كنعان لم يكوّنوا دولة ولم يتمتعوا بالحكم الذاتي، بل أصبحوا أقلية بين الشعوب السامية الموجودة في بلاد الشام في ذلك الوقت، مثل؛ الآراميين والعمونيين والمؤابيين، حيث حكم الفرس بلاد كنعان والمناطق المجاورة، وحافظوا على علاقات طيبة مع اليهود(47)، وبقي هذا وضع اليهود حتى مجيء الروم واستقرار أمر بلاد كنعان في أيديهم بعد صراعات مع الإغريق، يقول ابن الأثير: «ولم يزل بنو إسرائيل ببيت المقدس وعادوا وكثروا حتى غلبت عليهم الروم زمن ملوك الطوائف فلم يكن لهم بعد ذلك جماعة»(48).

تحت حكم الروم

وفي عهد حكم الروم لأورسالم، تعرضت المدينة لخراب آخر على يد «طيطوس» - أو تيتوس - عام 70 للميلاد، والذي أرسله أبوه الإمبراطور «اسفسيانوس» لهدم المدينة غضبًا لمقتل المسيح(49)،وقد ورد ذكر تيتوس في الموسوعة اليهودية، حيث جاء فيها أنه دمر أورسالم عام 70 للميلاد، ولكن الأسباب الواردة فى الموسوعة لهذا التدمير مختلفة تمامًا عما ذكره ابن الأثير والطبري وغيرهم من المؤرخين المسلمين، إذ تحدثت الموسوعة عن ثورات يهودية كانت سببًا مباشرًا لهذا التدمير، وتجاهلت تمامًا فرضية انتقام تيتوس لمقتل المسيح، ولم تشر إليها مطلقًا(50)، والجدير بالذكر أن فرضية قتل اليهود لعيسى عليه السلام لم ترد فقط عند مؤرخي المسلمين، بل كانت واسعة الانتشارحتى وصلت عامة المسيحيين في أرجاء العالم، والذين يتداولون حتى يومنا هذا لفظة «قَتَلة الإله» للإشارة إلى اليهود، وهو ما خلق التوتر لقرون

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في العلاقات المسيحية اليهودية، حتى أصدر المجمع الفاتيكاني الثاني عام 1965م برئاسة البابا «بولس السادس» مرسومًا جاء فيه: «صحيح أن السلطات اليهودية وأولئك الذين اتبعوا قيادتهم قد ضغطوا من أجل موت المسيح؛ومع ذلك، فإن ما حدث له لا يمكن أن يتم توجيهه كاتهام ضد جميع اليهود، وبدون تمييز، ولا ضد اليهود اليوم. على الرغم من أن الكنيسة هي شعب الله الجديد، إلا أنه يجب ألا يُعرَض اليهود على أنهم مرفوضون أو ملعونون من الله، كما لو أن هذا قد جاء من الكتاب المقدس. يجب على الجميع أن يروا ذلك، وبناءً عليه، لا يجب تعليم أي شيء لا يتوافق مع حقيقة الإنجيل وروح المسيح في الأعمال الكنسية أو في الوعظ بكلمة الله»(51)، وما جاء في المرسوم لم يقم بتبرئة يهود أورسالم من تهمة قتل عيسى عليه السلام ، بل أدانهم، ولكنه أشار إلى عدم جواز تعميم التهمة على كل اليهود، وإلى وجوب فصل إدانة اليهود في ذلك الزمان عن إدانة اليهود المعاصرين، بمعنى أنها دعوة للتسامح بين الديانتين وليست تبرئة من تهمة قديمة، وفي القرآن الكريم ذكر صريح لافتخار اليهود بقتلهم عيسى عليه السلام ، جاء في سورة النساء:﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾، ونحن هنا لسنا بصدد إعادة تقييم العلاقات المسيحية اليهودية المعاصرة، ولا الدعوة للبغضاء بين أتباع الديانات الأخرى، ولا تقديم خطاب قانوني في مسألة قتل اليهود لعيسى عليه السلام ، بل نحاول أن نفهم السبب الحقيقي لسخط الرومان على يهود أورسالم، وهدم تيتوس للمدينة، ونتساءل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عن عدم ذكر هذا السبب في الموسوعة اليهودية، حتى ولو لم يعدُ كونه فرضية من وجهة نظر واضعي الموسوعة.

وقد أعقب هدم تيتوس لأورسالم تخريبًا رومانيًا آخر للمدينة، حيث دمرها «اندريانوس» - أو هادريان - عام 135م، وقتل اليهود والنصارى، وغير اسمها إلى «أيليا»، وجاء بالروم واليونان ليسكنوها(52)، وقد ترتب على هدم تيتوس لأورسالم وتخريب اندريانوس لها هجرةٌ أخرى لليهود منها، وهي موجة الهجرة الأكبر في التاريخ نحو مدن البحر الأبيض المتوسط، ومنها المدن الأيبيرية بطبيعة الحال، وعلى أثر تلك الهجرة، استقر اليهود وانتشروا في أوروبا إلى يومنا هذا، وقد مثل هذا العصر أول خروج حقيقي ومهم لليهود، وأول استقرار مؤثر لهم في أيبيريا، التي كان يسيطر عليها الكلت - قبائل هند وأوروبية - في تلك الفترة، وكما ذكرنا سابقًا، فقد توسع نفوذ الرومان وأصبحت إمبراطوريتهم أكبر حجمًا حتى وصلت أيبيريا في القرن الثاني للميلاد، وما لبث القوط أن سيطروا على شبه الجزيرة الأيبيرية مطلع القرن الخامس.

تحت حكم القوط

صوّر «إلياس ليندو» في كتابه «تاريخ يهود إسبانيا والبرتغال: منذ أزمانهم الأولى حتى طردهم الأخير من تلك الممالك وشتاتهم اللاحق»حياةَ اليهود تحت الحكم القوطي، وشرح وضعهم في عهد كل حاكم قوطي، فذكر أن الملك «سيسيبوت» (621 - 612م) أجبر اليهود على الالتحاق بالكنيسة الكاثوليكية، ونفى من خالف ذلك القرار خارج البلاد، فهرب الكثير من اليهود إلى «غاول» - كان يحكمها الميروفينجين(53)في ذلك الوقت- وأفريقيا، وسُجِنَ آخرون، ثم جاء «ريكارد الثاني»، الذي لم تتجاوز فترة حكمه الشهرين، ليعقبه «سوينثيلا» (631 - 621م) على العرش الأيبيري، والذي كانت فترة حكمه فترة مستقرة لليهود، حيث حاول إصلاح الأمور والسماح لليهود الذين اعتنقوا المسيحية قسرًا في عهد سيسيبوت بالعودة لديانتهم اليهودية، ولكن في عام 631م قام الملك «سيسيناند» (635 - 631م) بعزل الملك سوينثيلا، وسيطر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

على الحكم، وفي عهده انعقد مَجْمَع طليطلة الرابع عام 631م، والذي صدرت بموجبه تعليمات مشددة لضمان عدم رجوع اليهود لديانتهم، وصلت إلى حد فصلهم عن أبنائهم، ووضع أولئك الأبناء في أديرة أو تربيتهم «مع رجال أو نساء مسيحيين يخشون الله»، وفي عام 687م جاء إلى الحكم الملك «إيجيكا»، والذي عانى اليهود طيلة خمسة وعشرين عامًا من حكمه، إذ أجبرَ اليهود على بيع كل ممتلكاتهم للدولة، حتى قام اليهود بإضراب مفتوح احتجاجًا على أوضاعهم، وهو ما انتهى بسفك دمائهم وأخذ الكثير منهم كعبيد.

واستمر ليندو بشرح معاناة اليهود تحت حكم القوط، وقام بترجمة وإلحاق القوانين الصادرة بحقهم في القانون القوطي، وفي مجامع طليطلة المتتالية؛ السادس والثامن والتاسع والعاشر والثاني عشر والسادس عشر والسابع عشر، وفصّل تشريعاتها التي تمس حريات المجتمع اليهودي بمختلف أبعاده: السياسية والاقتصادية والدينية والاجتماعية والتعليمية، مثل: عدم السماح لهم بالاحتفال في مناسباتهم الدينية، ومنعهم من التملك في عدة فترات زمنية، وعدم السماح لهم بزواج الأقارب حتى الدرجة السادسة(54).

لم يختلف تصوير ليندو لحياة اليهود تحت حكم القوط عن المنهج الذي اتبعته الموسوعة اليهودية، حيث البحث عن الاضطهاد واجتزائه من سياقه، وعدم ذكر الأسباب المباشرة له، لينهي ليندو سرده تاركًا الكثير من الأسئلة العالقة في ذهن القارئ، والكثير من الأمور الغامضة المبهمة، كما أن ليندو ذكر القوانين الصادرة بحق اليهود تحت حكم القوط، ولكنه تجاهل الكثير من الأمور، ومنها أنّ هذه القوانين لم تكن ضد اليهود فقط، بل كانت ضد كل الأقليات الدينية المختلفة، فلم يتم استهداف اليهود لأنهم يهود فقط.

وعلى الرغم من أننا ما زلنا نؤكد على التحيز في الطرح التاريخي لمسألة اليهود، والمحاولة الدائمة على تصويرهم كمضطَهَدين، واجتزاء جزء معين من قصتهم من سياقه، وتضخيمه، والتركيز عليه أكاديميًا وإعلاميًا وشعبويًا، وعدم ذكر الأسباب المباشرة لهذا الاضطهاد، إلا أن وجود كل هذه القوانين الموثّقة - وبغض النظر عن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أسبابها - تلخص لنا حال اليهود تحت حكم القوط، وتؤكد لنا الوضع الصعب الذي كان يعانيه المجتمع اليهودي الأيبيري في تلك الفترة من الزمن.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثاني مجتمع اليهود في الأندلس

علاقة اليهود بالمسلمين القادمين إلى أيبيريا

عاش يهود أيبيريا حياة مقيتة فرضها عليهم القوط، ومن الطبيعي أن تشكل هذه الظروف الحياتية دافعًا لدى المجتمع اليهودي لرفض هذا الحكم القوطي المصادِر لحقوقهم - حتى وإن تملكهم الخوف إلى درجة عدم إعلانهم الصريح لهذا الرفض- وخصوصًا أن القوط ليسوا أهل البلد الأصليين، وليس بينهم وبين يهود أيبيريا صلات دم قوية، ولكن إلى أي حد قد يصل هذا الدافع باليهود؟ هل يصل بهم مثلًا لمساعدة قوة خارجية -كالعرب أو غيرهم- على السيطرة على أيبيريا؟ لقد كانت مساعدة اليهود للعرب القادمين إلى أيبيريا محلَ جدل في الأكاديميا المعاصرة، إذ يرى فريق من الباحثين أن اليهود لم يساعدوا العرب، ويحتجون بعدم ورود ذلك في المصادر التاريخية العربية، وبالفعل فلم يرد لهذا ذكر لدى مؤرخي العرب القدماء، ولكنهم لم ينفوه أيضًا، وعدم الذكر لا يُعتبر شاهدًا على النفي، لذلك فهذا الرأي يعتبر ضعيفًا، وتنقصه الأدلة العلمية، وقد رأى باحثون آخرون أن العرب استعانوا باليهود فعلًا عند دخولهم الأندلس، فقال محمد بحر عبد المجيد في كتابه «اليهود في الأندلس»: «وقد وجد المسلمون من اليهود المستعبدين مساعدة فعالة كانوا في أشد الحاجة إليها وهم يتقدمون في أرض لا يعرفون عنها الكثير، وكلما دخلوا مدينة حرروا يهودها وفي مقابل ذلك كان اليهود يعرضون على قائد الجيش الإسلامي خدماتهم، فكثيرًا ما كان يوكل قائد الجيش إلى اليهود حراسة المدن المفتوحة وتأمينها تحت إمرة عدد قليل من الجنود المسلمين»(55).

وبصرف النظر عن حقيقة مساعدة اليهود من عدمها للمسلمين، فقد بدأ يهود الأندلس مرحلة جديدة من تاريخهم، تحت الحكم الإسلامي الجديد الذي حل محل الحكم القوطي، وفي معرض دراستنا للشعر العبري، والتي هي غاية هذا الباب، يهمنا أن نعرف مظاهر الحياة السياسية والاقتصادية لليهود في هذه الفترة، إيمانًا منا أنّ الشعر - والفن عمومًا - لم يكن يومًا بمعزل عن المجتمع الذي ينتجه، بل إن تطور

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الشعر في أي مجتمع يعتمد على تحضر المجتمع وتطوره، فالشعر متغير تابع، يحتاج تطوره لإدارةَ سياسية حاذقة ومستقرة، ثم اكتفاء اقتصاديّ، ليأتي بعدها التفكير بالأمور الثانوية؛ مثل الشعر، فالإدارة السياسية هي التي تعطي الفرد إحساسًا بالأمان والطمأنينة، وبأنّ علاقته بالآخرين منظمة ويحكمها قوانين وقواعد، وبالتالي فإنه سيدخر ذلك المجهود والوقت الذي يبذله الأفراد في المجتمعات البدائية لحماية أنفسهم بأنفسهم، وخير مثال على ذلك المجتمعات القبلية التي لم تصل فعلًا لمفهوم الدولة، والتي ينشغل فيها الأفراد بتأمين أنفسهم وزيادة مَنَعَتِهِم عن أي فنٍ أو علم.

وبعد أن يستقر الأفراد ويضمنون أمنهم يبدأون في التفكير بتحسين مستوى معيشتهم، ليتحول الجزء الأكبر من ذلك الوقت المستهلَك في حماية النفس إلى انخراط في نشاط اقتصادي يضمن مستوى معيشي مناسب للأفراد ومعيليهم، ولا شك أن الذهن والجسد المشغولين طوال الوقت بقوت اليوم لن ينتجا فنًا إلا في استثناءات نادرة لا يمكن بأي حال تعميمها على المجتمع(56)، فهل وصل المجتمع اليهودي في الأندلس إلى تلك الدرجة من التحضر التي تجعل أفراده جاهزين للتفكير في الشعر؟

أسباب التحضر في المجتمع اليهودي في الأندلس:

استقرار السلطة السياسية

تناول المؤرخ «شلومو دوف غواتين» في كتابه «مجتمع البحر الأبيض المتوسط: مجتمعات اليهود في العالم كما صورتها وثائق جنيزة(57) القاهرة» حياةَ اليهود بمختلف جوانبها، ومنها الجانب السياسي، ووضح أن يهوَد الأندلس عاشوا حياة سياسية منظمة، وكانوا تابعين للسلطة المسلمة المحلية، ولكنهم في الوقت نفسه منظَّمين تنظيمًا دينيًا يربطهم ببقية اليهود في العالم، أي أن اليهود كان لهم حكم ثيوقراطي خارجي يُنَظم أمورهم، ويربطهم باليهود في بقاع مختلفة من الأرض، وهذا بالطبع لم يكن ليتم لولا سماحة وتسهيل الحكومة المحلية المسلمة صاحبة السلطة الأولى على يهود الأندلس، والتي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كانت تعزز سلطة رئيس اليشيفا - الغاون - وتساعده في تنفيذ قراراته إذا اقتضى الأمر، وتقرب قادته المحليين وتعطيهم المناصب السياسية القيادية في بعض الأحيان، وقد كانت السلطة اليهودية الأعلى عالميًا تُدعى «يشيفا»، وهي كلمة تعني الأكاديمية، ووظائفها سياسية وتعليمية وقضائية، ولم ينشأ هذا النظام في زمان الأندلس، بل هو موجود منذ القرن الثالث الميلادي، وفي وقت الحكم الإسلامي للأندلس كان هناك ثلاثة أماكن لليشيفا في العالم؛ اثنين في العراق، وواحد في فلسطين، وقد كان الثلاثة مختلفين في شعائرهم، لذلك كانت لهم كنس منفصلة؛ الكنيس البابلي الشرقي، والكنيس الفلسطيني الغربي، وكانت هناك مجموعات يهودية في العالم -وليس فقط في الأندلس - لا تعترف بسلطة اليشيفا ولكنها متعاونة مع المجتمع اليهودي؛ وهم القَرّائون، والسامريون، والقرائون هم الذين يؤمنون بالتوراة ولا يؤمنون بالتلمود، علمًا بأن التوراة تمثل أول خمسة أسفار فقط من العهد القديم، وما تبقى من العهد القديم يمثل التلمود، والسامريون أيضًا يؤمنون بالتوراة فقط، ولكن التوراة التي يؤمن بها السامريون تختلف عن توراة الحاخاميين، والحاخاميون هم الذين يشكلون غالبية اليهود اليوم، وفي زمان الأندلس أيضًا.

ورئيس اليشيفا يُدعى «غاون»، ولديه ممثلون إقليميون ومحليون في كل بلد أو منطقة، وهذا الممثل يُسَمى «ناغيد»، أو رئيس اليهود، والذي يُناط به تجميع اليهود المحليين ومنع تفرقهم، والحفاظ على تقاليدهم وحقوقهم، والقيام بأمورهم، فكان ينظم التعليم، ويبني المعاهد ويعطي الألقاب الأكاديمية، وكان التعليم في ذلك الوقت دينيًا، ودنيويًا، والأخير ينقسم إلى فلسفي - علمي، وأدبي - إداري، وكان رئيس اليهود ينظم أمور الخدمة الاجتماعية، مثل تنظيم وإيصال المساعدات المالية والعينية، كما كان من مهامه تنظيم الأمور الدينية، مثل بناء وتحديث دور العبادة، وكان رئيس اليهود ينظم مهامه تلك عن طريق أبرشيات منتشرة في عدة أماكن، وقد انتهى لقب الناغيد في الأندلس نهائيًا بمقتل «يوسف بن شامويل هاليفي» عام 1066م، وبالإضافة إلى الغاون - القائد الديني لجماعات اليهود في العالم - فقد كان هناك قائد دنيوي أيضًا، يُدعى «رئيس الشتات»، ولكنه كان محدود السلطات، ويكاد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يكون رمزيًا، وغالبًا ما يكون من نسل داود عليه السلام ، وقد كانت بغداد مكان تواجد رئيس الشتات في القرون التي حكم فيها المسلمون الأندلس.

الاستقرار الاقتصادي

وصف أحمد بن محمد المقري التلمساني في كتابه «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» نقلًا عن كتاب «ذكر بلاد الأندلس» لمؤلف مجهول جزءًا من موارد وخيرات الأندلس، فقال: «يوجد في ناحية دلاية من إقليم البشرة عود الألنجوج، لا يفوقه العود الهندي ذكاء وعطر رائحة، وقد سيق منه إلى خيران الصقلبي صاحب المرية، وأن أصل منبته كان بين أحجار هنالك، وبأكشونبة جبل كثيرا ما يتضوع، ريحه ريح العود الذكي إذا أرسلت فيه النار، وببحر شذونة يوجد العنبر الطيب الغربي، وفي جبل منت ليون المحلب، ويوجد بالأندلس القسط الطيب، والسنبل الطيب، والجنطيانة تحمل من الأندلس إلى جميع الآفاق، وهو عقار رفيع، والمر الطيب بقلعة أيوب، وأطيب كهرباء الأرض بشذونة، درهم منها يعدل دراهم من المجلوبة، وأطيب القرمز قرمز الأندلس، وأكثر ما يكون بنواحي إشبيلية ولبلة وشذونة وبلنسية، ومن الأندلس يحمل إلى الآفاق، وبناحية لورقة من عمل تدمير يكون حجر اللازورد الجيد، وقد يوجد في غيرها، وعلى مقربة من حصن لورقة من عمل قرطبة معدن البلور، وقد يوجد بجبل شحيران وهو شرقي يبره، و الحجر البجادي يوجد بناحية مدينة الأشبونة في جبل هنالك يتلألأ فيه ليلا كالسراج، والياقوت الأحمر يوجد بناحية حصن منت ميورمن كورة مالقة إلا أنه دقيق جدا لا يصلح للاستعمال لصغره، ويوجد حجر يشبه الياقوت الأحمر بناحية بجانة في خندق يعرف بقرية ناشرة أشكالا مختلفة كأنه مصبوغ، حسن اللون، صبور على النار، وحجر المغناطيس الجاذب للحديد يوجد في كورة تدمير، وحجر الشاذنة بجبل قرطبة كثير، ويستعمل في دلك التذاهيب، وحجر اليهودي في ناحية حصن البونت، وهو أنفع شيء للحصاة، وحجر المرقشيثا الذهبية في جبال أبذة لا نظير لها في الدنيا، ومن الأندلس تحمل إلى جميع الآفاق لفضلها، والمغنيسيا بالأندلس كثير، وكذلك حجر الطلق، ويوجد حجر اللؤلؤ بمدينة برشلونة إلا أنه جامد اللون، ويوجد المرجان بساحل بيرة من عمل المرية، أقل ما لقط منه من شهر نحو ثمانين ربعا، ومعدن الذهب بنهر لاردة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يجمع منه كثير، ويجمع أيضا في ساحل الأشبونة، ومعادن الفضة في الأندلس كثيرة في كورة تدمير وجبال حمة بجانة، وبإقليم كرتش من عمل قرطبة معدن فضة جليل، وبأكشونبة معدن القصدير لا نظير له يشبه الفضة، وله معادن بناحية إفرنجة وليون، ومعدن الزئبق في جبل البرانس، ومن هنالك يتجهز به إلى الآفاق، ومعادن الكبريت الأحمر والأصفر بالأندلس كثيرة، ومعدن التوتيا الطبية بساحل إلبيرة بقرية تسمى بطرنة، وهي أزكى توتيا وأقواها في صبغ النحاس، وبجبال قرطبة توتيا، وليست كالبطرينة، ومعدن الكحل المشبه بالأصفهاني بناحية مدينة طرطوشة يحمل منها إلى جميع البلاد، ومعادن الشبوب والحديد والنحاس بالأندلس أكثر من أن تحصى، وما ذكرت هنا وإن تكرر بعضه مع ما سبق أو يأتي فهو لجمع النظائر، وما لم نذكره أكثر، والله تعالى أعلم.

ومن خواص طليطلة: أن حنطتها لا تتغير ولا تتسوس على طول السنين، يتورثها الخلف عن السلف، وزعفران طليطلة هو الذي يعم البلاد ويتجهز به الرفاق إلى الآفاق، وكذلك الصبغ السماوي، انتهى.

وقال المسعودي في «مروج الذهب» بعد كلام ما نصه: والعنبر كثير ببحر الأندلس، يجهز إلى مصر وغيرها، ويحمل إلى قرطبة من ساحل لها يقال له شنترين وشذونة، تبلغ الأوقية منه بالأندلس ثلاثة مثاقيل ذهبا، والوقية بالبغدادي وتباع بمصر بعشرة دنانير، وهو عنبر جيد، ويمكن أن يكون هذا العنبر الواقع إلى بحر الروم ضربته الأمواج من بحر الأندلس إلى هذا البحر لاتصال الماء. وبالأندلس معدن عظيم للفضة، ومعدن للزئبق ليس بالجيد يجهز إلى سائر بلاد الإسلام والكفر، وكذلك يحمل من بلاد الأندلس الزعفران وعروق الزنجبيل وأصول الطيب خمسة أصناف: المسك، والكافور، والعود، والعنبر، والزعفران، وكلها تحمل من أرض الهند وما اتصل بها إلا الزعفران والعنبر، انتهى، وهو وإن تكرر مع ما ذكرته عن غيره فلا يخلو من فائدة، والله تعالى أعلم.

وذكر البعض أن في بعض بلاد الأندلس جميع المعادن الكائنات عن النيرات السبعة وهي: الرصاص من زحل، والقصدير الأبيض من المشتري، والحديد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من قسم المريخ، والذهب من قسم الشمس، والنحاس من الزهرة، والزئبق من عطارد، والفضة من القمر»(58).

وفي الأندلس كما يذكر التلمساني الكثير من أصناف الفواكه والثمار؛ كالتين والزبيب، والقرمز والمعادن والرخام، والمصنوعات، كالثياب الحريرية والأسِرّة والسكاكين وتجهيزات العرائس والزجاج والفخار والفسيفساء، والأسلحة(59)، وقد أشار غواتين أن الأندلس كانت الدولة الأبرز في زمانها في إنتاج وتصدير الحرير(60).

ولم يحتكر المسلمون هذه الخيرات التي نعمَت بها الأندلس، بل كانت تعم على المواطنين من جميع الأعراق والأديان، بالإضافة إلى أن المسلمين عند وصولهم وحكمهم لشبه الجزيرة الأيبيرية أعادوا لليهود أملاكهم التي كان القوط قد استولوا عليها، حتى إن محمد بحر قال: إن يهود الأندلس من شدة ثرائهم كانوا يرسلون الأموال إلى يهود أوروبا(61)، وقد أشارت وثائق الجنيزة التي درسها غواتين في الجزء الأول من كتابه المذكور سابقًا إلى الحقوق الاقتصادية ليهود الأندلس، مثل قدرتهم على التملك، وعلى إنشاء الأعمال التجارية، كما ذكرت تلك الوثائق عدة قصص للشراكة التجارية بين مسلمين ويهود في الأندلس، وأشارت إلى المعاملات التجارية التي كان يُنشئها اليهود، وليس أدل على عدم احتكار فئة للخيرات دون غيرها من وجود طبقة برجوازية يهودية، وكان غواتين قد أشار إلى رسالة ودية كتبها أحد وجهاء غرناطة اليهود لصديق له - وجيه آخر - زار القاهرة عام 1130م(62)، وبالتأكيد لم يكن الجميع في الأندلس أغنياء، لا اليهود ولا غيرهم، وكان المجتمع يحتوي على أفراد من مختلف الطبقات الاقتصادية.

وفي وثائق جنيزة القاهرة ما يدل على أن الحياة الاقتصادية ليهود الأندلس كانت منظمة أيضًا شأنها شأن الحياة السياسية، فكان هناك ما عُرِف بـ «دار الوكالة»، والتي تقوم بمهام المخزن أو البورصة أو البنك أو كُتّاب العدل أو البريد أو جميعها معًا، ويقوم عليها وكيل عن التجار اليهود، والذين كانوا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يتاجرون بسلع أساسية؛ مثل الزيت والأرز والسكر، وسلع ثانوية؛ مثل السجاد، وحتى سلع كمالية فاخرة مثل؛ المجوهرات والحلي(63).

وكان في حياة يهود الأندلس الكثير من الرفاهية، فكانوا يزينون الساحات الداخلية لمنازلهم غالبًا بالنوافير، وأحيانًا بالحدائق(64)، وكثيرًا ما أشار غواتين في الجزء الثاني من كتابه إلى الملابس الفاخرة والملونة، والحلي والمجوهرات التي كان اليهود يرتدونها ويتزينون بها، ويؤكد غواتين أن أغلب المصاغ التي يمتلكونها كانت ذهبية، حيث كان الذهب في الأندلس أكثر انتشارًا من الفضة، التي كان يُصنَع منها بعض المجوهرات فقط، على الرغم من ارتفاع سعر الذهب كثيرًا إذا ما قورِن بالفضة(65)، وكانت نساء الطبقة اليهودية البرجوازية تتزين باللآلئ، بل إن المرأة اليهودية الأندلسية عُرِفَت لدى التجار المصريين بصعوبة ذوقها فيما يخص اللآلئ(66)، وصعوبة ذوقها هذه إنما تشير إلى قدرتها المادية على الاختيار واقتناء ما تريد.

لقد تمتعت الأندلس بالموارد الثمينة والخيرات الوفيرة، وكان لليهود فيها حياة اقتصادية منظمة، وكانوا خاضعين للقوانين الاقتصادية للدولة، دون تمييز ضدهم، وهو ما أوصلهم إلى رفاهية مادية، حيث كانوا قادرين على اقتناء الذهب واللآلئ وغيرها من المعادن الثمينة، كما كان منهم الأثرياء والوجهاء وأصحاب المناصب في الدولة، فلم ينصرف تفكيرهم نحو الاحتياجات المادية الأساسية من مأكل ومشرب، وكان ذهنهم جاهزًا للانصراف نحو التفكير بالعلم والأدب.

العلم والأدب

أنتج هذا الوضع الحضاري المتقدم ليهود الأندلس بيئة خصبة للتطور الفني والعلمي، وكان نتاجه الكثير من الأسماء صاحبة التأثير في تاريخ يهود إسبانيا، من فلاسفة ونحويين وشعراء وأدباء ومترجمين وموسيقيين وعلماء دين، وهي أسماء نجدها في الكثير من كتب التاريخ هنا وهناك، نذكر بعضهم على سبيل المثال لا الحصر؛ أورد عبد المنعم الحفني في «الموسوعة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

النقدية للفلسفة اليهودية»الطبيبُ والفيلسوف والشاعر يهوذا هاليفي صاحب كتاب الفلسفة «الحجة والدليل في نصرة الدين الذليل»، وهو مكتوب باللغة العربية(67)، بل من الملاحظ السجع في اسمه على طريقة الكتب العربية في ذلك الوقت، وأورد أيضًا الفيلسوف والنحوي والشاعر شلومو ابن جبيرول، وهو صاحب كتاب الفلسفة «ينبوع الحياة»، وكتاب الأخلاق «إصلاح الأخلاق»(68)، وأشار «إلياهو أشتور» في كتابه «يهود إسبانيا المسلمة» إلى الشاعر والنحوي «مناحم ابن سروق»، وهو صاحب أول معجم في اللغة العبرية يحتوي على ألفاظ الكتاب المقدس، واسمه «محبريت»(69)،كما نجد الشاعر والموسيقي «إسحاق بن شمعون»، والذي ذكره أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي الأندلسي في كتابه «المُغرب في حلى المغرب»، ووصفه بأنه «أحد عجائب الزمان في الاقتدار على الألحان»، ومن شعره ما نقله أبو سعيد المغربي قوله(70):

قُـم هاتِ كأسَكَ فالنَّعيمُ قد اتَّسَق

والعـودُ عنْ داعي المسرَّةِ قَد نَطَق

ولديـكَ مَنْ حَثَّ الكؤوسَ أزاهرًا

في الخزِّ يمرحُ كالأراكةِ في الوَرَق

والـزَّهـرُ زُهرٌ والرّياضُ سماؤُها

والفجـرُ نَهـرٌ والشَّقائقُ كـالشَّفَق

وذكر محمد بحر «سليمانَ بن صقبل»، وهو الذي أدخل فن المقامة على الأدب المكتوب باللغة العبرية لأول مرة في تاريخه(71)، وذكر «سيمون دوبونوف» في كتابه «تاريخ اليهود من الإمبراطورية الرومانية إلى فترة بداية العصور الوسطى» العديدَ من اليهود الأندلسيين المؤثرين، مثل «إسحاق الفاسي»، صاحب الكتاب الديني «التلمود المختصر»(72)،والمؤرخ ذائع

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الصيت «إبراهيم بن داود»، صاحب كتاب «هاكابّالا»، أو كتاب التقاليد (73).

لقد كانت تلك الحقبة في تاريخ يهود أيبيريا حقبة ثرية، ظهر فيها العديد من الرموز الفنية والعلمية، الذين قاموا بتأليف الكثير مما يُعَد الآن مصادرًا وأمهاتٍ للكتب، ولا عجب أن أكثر هذه الكتب مكتوبة بالعربية، فقد كانت العربية لغة العلم والأدب في العالم في ذلك الزمن، وإنّ الأضعف حضاريًا يرى ما للقوي من مظاهر للقوة فيقلدها، ولا يستطيع العامة معرفة أن المظاهرَ نتائجُ لهذه القوة، وليست أسبابا، بينما يفرّق الخاصة بين ما استقل من الأسباب وما تبع من المظاهر، ولذلك يقلّد العامةُ المظاهر، ويتعلم الخاصةُ الأسباب، وقد كان عامة يهود الأندلس يسمون مؤسساتهم - غالبًا - بأسماءَ عربية، ويغنون الأغاني العربية في الأفراح، ويستخدمون الأمثال العربية، ويتحدثون العبرية بلكنة وإيقاع عربيين، ويختالون بحشوها بالمفردات العربية، أما الخاصة فقد أدركوا الأسباب، وتأثروا بها، وطبقوها في علمهم وأدبهم، فكان نتاجهم العلمي والفلسفي والأدبي مكتوبًا أغلبه باللغة العربية، فتأثروا في كتبهم بأفكار فلاسفة المسلمين وعلمائهم، مثل؛ «ابن رشد» و«الغزالي» و«ابن حزم» و«المجريطي»، بل واستشهدوا حتى بالقرآن والسنة النبوية أيضًا، وكان الأسلوب العربي في اختيار العنوان، وكتابة المقدمة، وتقسيم الكتاب حاضرًا بقوة للدرجة التي لا نستطيع التفريق فيها بين كتب يهود الأندلس وكتب مسلميها، حتى إن بعض الكتب التي عُرِف صاحبها حديثًا - وخصوصًا بعد اكتشاف وثائق جنيزة القاهرة- كان يُعتقَد أنها لمؤلفين مسلمين، لأسلوبها وطريقة كتابتها، ولكن اتضح لاحقًا أنها لكُتّاب يهود.

نظرة المؤرخين اليهود لحال المجتمع اليهودي في الأندلس

وصف المؤرخُ الأدبي الألماني اليهودي «رودولف كايسر» في كتابه «حياة وزمن يهوذا هاليفي» لسانَ حال اليهود لدى مجيء المسلمين وسيطرتهم على الأندلس، فقال: «بدا التغير في مصير اليهود تحت الحكم الإسلامي لهم كمعجزة. هل جاء المسيا؟(74) هل اسمه محمد؟»(75)، لقد اعتبر اليهود أن المسلمين بمثابة المخلص الذين ينتظرونه، ولا شك أن إنزال يهود

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأندلس للمسلمين هذه المنزلة لديهم لم يأتِ من أمر يسير، وأن تمثيل اليهود المسلمين برمزهم الديني المرتبط بالإنقاذ والخلاص هو نتيجة لما رأوه من عدل وإنصاف وإقرار للحقوق، واستطرد كايسر بقوله: «بينما استمر يهود وسط أوروبا يعانون من حكم اللوردات العدائي المستبد، كان يهود إسبانيا الإسلامية أحرارًا؛ لقد عاشوا وسط تقاليدهم القديمة. تحت حكم الخلفاء، كانوا يصلون إلى أعلى المناصب الحكومية. في ألمانيا كان اليهود (عبيد التاج) للإمبراطور. استخدمهم ملوك إنجلترا وفرنسا لجلب الأموال المرتبطة بمصالحهم في كل أوروبا، أفنوا حياتهم في كد وتعب، وعاشوا في شوارع الغيتو المظلمة والضيقة»(76)، وهنا يشير كايسر إلى المستوى العالي من الحريات السياسية والاجتماعية التي حظي بها يهود الأندلس مقارنةً بالتضييق الحاصل على يهود أوروبا الآخرين.

ووصف المؤرخ الألماني اليهودي شلومو دوف غواتين التغير الإيجابي في حياة اليهود الذي رافق قدوم العرب إلى الأندلس بـ «المعجزة الإسبانية»(77)، ولم يختلف رأي ليندو عن رأي باقي المؤرخين اليهود، فقد أعطى إشارات إيجابية لحكم المسلمين للأندلس، بدأها بوصولهم وسيطرتهم على الأندلس، حيث قال: «كل الذين رغبوا بالخروج - من اليهود عند وصول المسلمين - نالوا الحرية لفعل ذلك، وبمطلق الأمان، ومع ممتلكاتهم، وأما الذين فضّلوا أن يبقوا، نالوا حرية ممارسة شعائرهم الدينية»(78)، واستطرد لاحقًا مؤكدًا على الحريات الدينية للجميع بقوله: «في قرطبة وإشبيلية، كانوا متسامحين وعادلين، حيث كان من الممكن في نفس الوقت أن يُرى اليهودي في معبده، والمسيحي في كنيسته، والمسلم في مسجده يصلون لخالقهم جميعًا»(79)، بل إن ليندو أشار أيضًا أن أمر الحرية والازدهار الذي عاشه يهود الأندلس لم يقتصر عليهم فقط، فقد بدأ يهود المجتمعات الأخرى بالقدوم إلى الأندلس من أجل «مشاركتهم - يهود الأندلس- في ازدهارهم وعلمهم».

إن إطلاق ألفاظ مثل «المسيا المنقذ»، و«المعجزة الإسبانية» على تبدل حال

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يهود أيبيريا فور بدء حكم المسلمين هي شهادة على عدل هذا الحكم، وتصبح هذه الشهادة أقل تحيزًا حين تجئ من المؤرخين اليهود أنفسهم، وهم الذين اعتادوا - كما بيّنا - على البحث عن مأساة في تاريخ المجموعات اليهودية هنا أو هناك، ولكن المسلمين لم يتركوا لهم هذه الفرصة، فقد عاش اليهود بحرية كاملة، ومارسوا شعائرهم الدينية وطقوسهم اليومية، واعتنقوا المناصب العليا، فكان منهم قائد الجيش والوزير وغيرها من المناصب الحساسة، بل ووصلوا إلى رفاهية التطوير على الأدب والعلم، وهي درجة لم تعتد الأقليات في العالم على الوصول إليها.

والآن بعد أن عرفنا تاريخ اليهود في أيبيريا، ووضعهم الحضاري تحت الحكم الإسلامي، نبدأ بدراسة شعرهم، والحديث عن العلاقات بين الشعرين العربي والعبري، ولكن ينبغي علينا قبل ذلك أن نجيب عن سؤال ربما يجول في ذهن القارئ الآن، وهو: لماذا الشعر تحديدًا؟ إذا كان يهود الأندلس قد تطوروا في الكثير من العلوم والفنون، فلماذا نتركها كلها ونخصص الحديث عن الشعر؟

لأن الشعر الذي يُعتبَر عند كل الأمم والشعوب فنًا، يعدّه العربي جزءًا من شخصيته ومن تاريخه، ولا يعامله معاملة المنقول الذي لا يخرج من مجالس العلم - كغيره من العلوم والفنون - والذي يتعلمه التلاميذ ولا يُحدِّثُون أحدًا به إلا عن طريق الكتب، أو في مجالس الخاصة، بل هو حاضر بخصوصيته في كل مكان من حياة العربي؛ في باديته ومدينته وريفه، وفي كل حالاته؛ جده وهزله، وخصامه واتفاقه، وفراغه وعمله، ويعرفه الصغير والكبير، والرجال والنساء، والأفراد بمختلف درجات نفوذهم وعلمهم، فإذا كان للعرب أن يكونوا في موقع المؤثِّر يومًا، فإنّ أول ما يصدرونه من ثقافتهم هو الشعر، ولا أعني بالشعر الاقتصارَ على نظمه فقط، بل حتى طقوسه، وشغف العامة والخاصة به، وتقريب ذوي النفوذ للشعراء، وذلك الأثر السحري الغامض الذي توقعه قصيدة في نفس سامعها، فلم تنظم أمة الشعر بالمقدار الذي نظمته العرب، ولا زالت مقولة «غوستاف لوبون» تجول في ذهني، إذ قال: «إنّ العرب وحدهم قرضوا من الشعر ما لم تقرضه أمم العالم مجتمعة»(80)، فلا عجب أن نترك كل ما سبق من العلوم والفنون ونتحدث عن الشعر بشكل خاص.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثالث الشعر العبري

الشعر العبري المقدس

يبدأ التأريخ الأدبي للقصيدة العبرية منذ العهد القديم - التوراة والتلمود - حيث يتم تناول العديد من أجزائه أكاديميًا على أنها من الشعر، ومن الأمثلة على ذلك هذا الجزء من سفر الخروج 8-51:6؛ «6يَمِينُكَ يَا رَبُّ مُغتَزَّةٌ بِالْقُدرَةِ. يَمِينُكَ يَا رَبُّ تُحَطِّمُ الْعَدُوَّ. 7وَبِكَثْرَةِ عَظَمَتِكَ تَهْدِمُ مُقَاوِمِيكَ. تُرْسِلُ سَخَطَكَ فَيَأْكُلُهُمْ كَالْقَشِّ، 8وَبِرِيحِ أَنْفِكَ تَرَاكَمَتِ الْمِيَاهُ. انْتَصَبَتِ الْمَجَارِيَ كَرَابِيَةٍ. تَجَمَّدَتِ اللُّجَجُ فِي قَلْبِ الْبَحْرِ»، وسبب اعتبار الكثير من أجزاء العهد القديم شعرًا هو ما تحمله هذه الأجزاء من وقع جمالي، ولاحتوائها على إيقاع منتظم يجعل قابليتها للغناء عالية، وقد فتح هذا التناول البابَ أمام الأكاديميين والباحثين لتفكيك هذا الإيقاع، وإيجاد نموذج عالي الصدق والثبات يقدم تفسيرًا عروضيًا له، ولكن ما زالت الأكاديميا تقف عاجزة إلى الآن عن هذه المهمة، إذ لا يوجد فهم دقيق لصنعة الشعر العبري المقدس، لعدة أسباب، أهمها؛ غياب العلوم اللغوية الكاملة بالعبرية القديمة، على الرغم من المحاولات الكثيرة لأية إضافة علمية بهذا الصدد.

ومن هذه المحاولات دراسة «روبرت ديك» التي بدأها بالتقديم للشعرَ العبري في التوراة، وذلك في كتابه «الشعر العبري: محاضرات بعد ظهر يوم الأحد، قبل كلية الحقوق في غرينسبورو»، وأوضح عدم إمكانية تطبيق أحد أنظمة العروض الكمية أو النوعية المعروفة في العالم عليه، إلا أنه أورد بعض الخصائص التي يتميز بها هذا الشعر بعيدًا عن الوزن، فبالإضافة لكونه شعرًا دينيًا قصصيًا، فإن أبرز خاصية تميزه هي «التماثل»، بمعنى الاعتماد على التشابه، سواءً في التركيب أو تكرار العبارات أو الجمل بأكملها أحيانًا، ويورد ديك المثال التالي من سفر مزامير على تماثل التركيب(81):

«السماء هي عرشي

والأرض هي موطئ قدمي»

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقام «هيردر» بدراسة أخرى وصل فيها للنتيجة السابقة نفسها التي وصل إليها ديك، والتي تؤكد علاقة الشعر العبري في العهد القديم بالموسيقى، وقدم دراسته في كتابه «روح الشعر العبري»، حيث أوضح أن الشعر العبري المقدس مرتبط ارتباطًا وثيقًا بالموسيقى، ولكن موسيقاه إيقاعات عشوائية غير منظمة، ربما ترتبط بنبضات القلب الخاصة بقائلها، مما يصعب مهمة إيجاد نظام وزن واحد قام عليه الشعر العبري المقدس، لذلك اعتبره هيردر «جامع مانع»، بمعنى أنه غير منتظم في وزنه حيث يحتمل كل الاحتمالات ولكنه صعب النظم، كما أكد هيردر على كون التماثل خاصية مهمة من خصائص الشعر العبري المقدس، وعد «الرمزية» و «المجاز» من خصائصه الظاهرة أيضًا، وقد أوضح هيردر أن هذا الشعر روحاني ذو قيم سامية، شأنه في ذلك -من وجهة نظر هيردر-شأن الشعر الشرقي عامةً؛ مثل العربي والإيراني(82).

ومن المحاولات المهمة في فهم وزن الشعر العبري المقدس تلك التي قام بها «إلكانون إساكس»، ونشر دراسته المتعلقة بها في «المجلة الأمريكية للغات والآداب السامية»، وقد قدم إساكس في بداية الدراسة لغموض وزن الشعر العبري المقدس، ولارتباطه بالغناء، لما يُبنى عليه من إيقاعات، كما تحدث عن وجود محاولات للتلاعب من قبل الباحثين بغية الوصول إلى نماذج أكثر ثباتًا لوزن الشعر العبري المقدس، واعتبر إساكس هذه المحاولات غير مدعومة بأدلة كافية، ثم سعى للكشف عن هذا الوزن بشكل أكثر حيادية، ومن أجل ذلك حاول إيجاد أثر للوزن السنسكريتي على الشعر العبري المقدس، وخصوصًا مقياس - المقياس لفظة تقابل البحر الشعري في الأكاديميا العربية - آريا، وهو مقياس كمي(83) يتكون من جمل شعرية تحتوي الواحدة منها على أربعة مقاطع صوتية ثقيلة، وغالبًا ما تأتي المقاطع بالترتيب التالي: (مقطع خفيف، مقطع ثقيل ، مقطع ثقيل (أو مقطعين خفيفان)، مقطع خفيف)، ومقياس آريا كثير الاستخدام في الأعمال الفلسفية في مرحلة ما بعد الفيدا(84)، وَخَلُصَ إساكس إلى التأكيد على وجود انتظام عالٍ في إيقاع الشعر العبري المقدس، واستنتج وجودَ إشارات على تأثر الوزن العبري المقدس بالوزن السنسكريتي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الكمي، بالإضافة إلى وجود خصائص نوعية قائمة على النبر، فقدم افتراضه بأن وزن الشعر العبري المقدس هو خليط من المقاييس الكمية والنوعية، ولكنه لم ينجح بتحديد ترتيب واضح للمقاطع العبرية على الرغم من هذا الافتراض، وبناءً على افتراضه للنموذج المزدوج، فقد انتقد إساكس محاولات لباحثين سابقين تتحدث عن نمط نبري (85)فقط للوزن العبري المقدس، وتتجاهل خصائص الوزن الكمي فيه، مثل محاولات «سايفرس»و «كوينغ» و «روثشتاين» وغيرهم(86).

وبعد البحث ومراجعة معظم الدراسات والكتب السابقة، استنتجنا أن الشعر العبري في العهد القديم:

• فيه إيقاعات منتظمة تجعله سهل الترنيم.

• غير موزون على أنظمة الوزن المعروفة عالميًا، على الرغم من وجود حالات تتشابه مع بعض المقاييس الكمية أو النوعية، إلا أنها حالات لا يمكن تعميمها.

• التماثل بأنواعه المختلفة خاصية رئيسية فيه، فمن الممكن أن يكرر عبارات أو جُمَل أو كلمات أو تراكيب.

• المجاز والرمزية من خصائصه في بعض الأحيان.

• ذو مواضيع دينية، بمختلف أشكالها القصصية أو التعليمية أو الرثائية.

الشعر العبري القديم

وبعد انتهاء مملكتي يهوذا وإسرائيل في 586 قبل الميلاد و720 قبل الميلاد على التوالي، حكمت شعوبٌ أخرى اليهودَ كما أسلفنا، ولم تقم لهم دولة، ولم يستقلوا بثقافة، مما أضعف وجود اللغة العبرية شيئًا فشيئًا، وساهم في استبدالها بالآرامية بين اليهود في فلسطين، لذلك لا نكاد نجد شعراء ينظمون الشعر بالعبرية في الفترة الممتدة من العهد القديم حتى القرن العاشر الميلادي إلا القليل، وقد أوضح «كارمي» في «كتاب بينغوين للشعر العربي» أن الفترة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بين الشعر العبري المقدس وبين القرن العاشر شهدت ظهور الشعر العبري الديني الذي يسمّى «بِيّوت» في فلسطين، في نهايات حكم الإمبراطورية الرومانية وقبل وصول المسلمين، ويعدد كارمي عدة شعراءللبيوت، منهم «جوزيه بن جوزيه» في القرن السادس الميلادي، وكلًا من «ياناي»، و «إليعازر بين كالير»، و «فينيها سهاكوهين» في القرن الثامن الميلادي، ويؤكد كارمي أن كل الشعر العبري حتى القرن العاشر هو شعر ديني مرتبط بالطقوس اليهودية(87).

إعادة إحياء اللغة العبرية

بدأت محاولات إحياء اللغة العبرية على يد يهود عاشوا في مناطق تابعة لنفوذ الدولة الإسلامية بدءًا من القرن العاشر الميلادي، وقد ذكر إلياهو أشتور أن فكرة خدمة المسلمين للغتهم العربية باعتبارها لغة مقدسة أثرت على علاقة اليهود الخاضعين للحكم الإسلامي بلغتهم العبرية(88)، وقد بدأت تلك المحاولات بالإسهامات اللغوية للغاون سعديا الفيومي في بغداد، الذي يُعتبَر نقطة تحول في تاريخ اللغة والأدب العبريين، وبالإضافة إلى إسهاماته الفلسفية والدينية، وقد كان عمله اللغوي الأبرز والأكثر إسهامًا في إحياء اللغة العبرية هو تأليفه لأول قاموس في اللغة العبرية «إغرون»، والذي يحتوي على مقالات عن الشعراء العبريين، وعلى ترتيب للكلمات المقفاة، مما يساعد الشعراء على تقفية قصائدهم، وخصوصًا بعد أن أصبحت ركنًا من أركان الشعر العبري في القرن الثامن الميلادي بجهود الشاعر ياناي، وقد كتب سعديا مقدمة كتابه في طبعته الثانية باللغة العربية، وعرّف فيها الشعر العبري، وأوضح خصائصه، وقد قال فيها إنه أنجزه بإسهامات كاتب عربي، ليس معروفًا على وجه التحديد من هو هذا الكاتب، ومن جهود سعديا الأدبية أيضًا تأليفه لكتاب في قواعد العبرية اسمه «كتب اللغة»(89).

وهذه الأعمال اللغوية التي قام بها سعديا الفيومي كانت مقدمة لثورة أدبية عبرية شملت الفنون بمختلف أشكالها؛ ومنها الشعر، وعلى الرغم من بَدءِها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في بغداد إلا أنها ازدهرت ونضجت في الأندلس، وذلك نتيجةً لأسباب التحضر الخاصة بالمجتمع اليهودي في الأندلس والتي ذكرناها سابقًا؛ من إدارة سياسية واكتفاء اقتصادي، فكان من الطبيعي أن تكون الأندلس هي المركز الأدبي اليهودي في العالم، والوجهة الأدبية التي يقصدها اليهود - وغيرهم - فكان يأتي إليها الباحثون عن وضعٍ علمي أو اقتصادي أفضل، لذلك أكمل أدباء الأندلس ما بدأه الغاون سعديا في بغداد، ومن أجل هذا فقد وصف كارمي سعديا بأنه «حلقة الوصل بين الشرق والمدرسة الإسبانية»، وقال كارمي: «للعديد من الأسباب المهمة، فإن سعديا هو المهيئ الجذري لابتكار مدرسة الشعر الأندلسية - مدرسة الشعر العبري الأكثر شهرة في العصور الوسطى- وهو من أوائل من كتبوا شعر عبري غير ديني»(90).

وفي الأندلس، وتحديدًا في قرطبة، برز «مناحم بن يعقوب ابن سروق»، والذي تقدمه الموسوعة اليهودية على أنه مؤلف ومعجمي إسباني عاش في القرن العاشر الميلادي، وولد في «طرطوشة»، وما لبث أن رحل مبكرًا إلى قرطبة، عاصمة الدولة الأندلسية، ويعتبَر الإنجاز اللغوي الأبرز لمناحم - بالإضافة لكونه شاعرًا - هو تأليفه للمعجم وكتاب النحو «محبريت»(91)،وقد اعتمد مناحم في معجمه على افتراض وجود جذور أحادية وثنائية للكلمات العبرية، وكان «محبريت» أول معجم يحتوي ألفاظ الكتاب اليهودي المقدس، كما أنه أول عمل نحوي باللغة العبرية(92)، حيث كان المعجم الذي قدمه الغاون سعديا مكتوبًا بالعبرية بحروف عربية، وقد أكمل تلميذ مناحم الأشهر «يهوذا حيوج» مسيرة أستاذه، وإن كان قد خالفه بإثباته الجذور الثلاثية للكلمات العبرية بدلًا من الأحادية والثنائية، وقد أصبحت مؤلفات حيوج لاحقًا مصادرًا في النحو العبري(93).

الشعر العبري في الأندلس

الأدب والسلطة (مناحم ودوناش، وحسداي)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عمل مناحم بن سروق سكرتيرًا لدى «إسحق بن عزرا بن شبروط» في قرطبة، وكان إسحق حاخامًا ووجيهًا يهوديًا، وأحد أغنى أغنياء الأندلس، وبعد موت إسحق، استمر مناحم بالعمل لدى ابنه «حِسداي»، وهو طبيب وأحد كبار شخصيات المجتمع الأندلسي، وقد عمل حِسداي في الطب، وفي البحث العلمي المتعلق بمجالاته، ومن أبرز أعماله اشتغالُه مع فريق على ترجمة عمل صيدلي مهم للطبيب اليوناني «ديسقوريدوس» من الإغريقية إلى العربية، وهو ما قربه لاحقًا من السلطة، حيث عينه الأمير «عبد الرحمن الثالث» مدير إدارة الجمارك، وهو منصب مهم جدًا في الدولة، كما شارك حسداي في بعض البعثات الدبلوماسية الخارجية، ومن مهامه الناجحة والبارزة عملُه على إقناع «سانكو» ملك «ليون» بالذهاب إلى قرطبة، وتوقيع معاهدة سلام مع الأميرعبد الرحمن الثالث(94)، وذكر أشتور أن حسداي كان وزيرًا في بلاط الأمير(95)،ولم يكن عبد الرحمن الثالث أميرًا كسائر الأمراء، بل كان قد بلغ من القوة أن أعلن نفسه خليفة للمسلمين، مستغلًا قوته وضعف العباسيين في بغداد، وصار يُسمّى الخليفة عبد الرحمن الناصر لدينِ الله(96)، وبالإضافة إلى منصب حسداي في الدولة، فقد كان له منصب ديني، إذ كان رئيسًا للمجتمع اليهودي في الأندلس(97).

لم تكن طموحات حسداي داخلية فقط، ولم تقتصر أمانيه على قيادة يهود الأندلس، بل كان يعمل على قيادة يهود العالم، ولكن ليس بالطريقة التقليدية المقتضية أن يصبح رئيسًا لليشيفا في بابل، بل كان يسعى إلى رفع وصاية اليشيفا البابلية عن يهود الأندلس، وإنشاء يشيفا جديدة في الأندلس، وهذا الطموح كان متوافقًا تمامًا مع فكر الخليفة عبد الرحمن الثالث، لأن بابل تتبع الخلافة العباسية، وسطوة يشيفا بابل على يهود الأندلس يعطي نفوذًا عباسيًا ما داخل الإمارة الأندلسية الأموية، ومن أجل هذا الهدف المشترك عمل حسداي على جعل الأندلس المركز الديني اليهودي بدلًا من بابل، وقد كان الوضع الحضاري للأندلس عامةً وللمجتمع اليهودي هناك -كما بيّنا سابقًا-يسمح بتنفيذ هذه الفكرة، والتي من أجلها قام حسداي بعدة إجراءات منها استقطاب العلماء والأدباء والباحثين والحاخامات

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نحو قرطبة، والإغداق عليهم، فأكرم حسداي مناحمَ بن سروق، وشجعه على عمل معجمه محبريت، وجلب الحاخام «موسى بن هانوخ» من إيطاليا، لرئاسة حاخامية قرطبة، وكان الشاعر «دوناش بن لبراط» أحد الذين جلبهم حسداي إلى قرطبة.

ودوناش بن لبراط هو شاعر ولغوي ومفسر، ويُعتَقَد أنه «أدونيم هاليفي»نفسه، وقد كان دوناش تلميذ الغاون سعديا الفيومي، فدرس النحو على يديه، ثم ذهب إلى «فاس»بعد موت سعديا، وغادرها لاحقًا نحو قرطبة(98)، التي كانت جاذبة للنخبة كما ذكرنا، وقد كان الشاعران مناحم ودوناش يمدحان حسداي في شعرهما، وهو الطقس العربي الذي بدأ يتسرب شيئًا فشيئًا إلى وجهاء اليهود، الذين أصبحوا يحيطون أنفسهم بالشعراء ليمدحوهم، وينقلون مناقبهم إلى الناس.

ويبدو أن علاقة مناحم بدوناش لم تكن جيدة، وربما لعب التنافس على القرب من حسداي دورًا فيها، إذ انتقد دوناش معجمَ مناحم سرعان ما وقعت عينه عليه، وألف كتاب شعر اسمه «الردود» من أجل هذا الغرض، وبرر دوناش انتقاده بأن محبريت يقدم تعريفات مغلوطة تجعل القارئ يفهم الشريعة اليهودية - أو الهالاخاه - بشكل خاطئ، إلا أن مناحم لم يرد على دوناش، ولكن مجموعة من تلاميذه قامت بالرد، ومنهم «يهوذا بن داود» - والذي يُعتَقَد أنه نفسه يهوذا حيوج - «وإسحق بن جقطلة»، و «إسحق بن قبرون»، فرد «يهودي بن شيشت» ومجموعة من تلاميذ دوناش على تلاميذ مناحم، لتبدأ معركة أدبية انقسم فيها المجتمع الأدبي اليهودي في الأندلس بين مناحم ودوناش(99).

وفي أحد الأيام كانت الحادثة التي رجّحت النفوذ الأدبي لدوناش على مناحم، وهي أن حسداي غضب على مناحم بسبب آرائه القرائية، وانتقاده التلمودَ والحاخاميين، فطرده وأهانه، ثم صفح عنه بعد حين، ولكن مناحم عاد إلى طرح آرائه نفسها، فأمر حسداي بتكبيله بالحديد وسحله وسجنه، فخلت الساحة من أي منافسين مؤثرين لدوناش؛ربما لم تكن آراء مناحم القرائية سببًا حقيقيًا لغضب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حسداي منه، ومن الممكن أن يكون حسداي قد استخدم تلك الآراء حُجةً لإبعاد مناحم عن الساحة الأدبية، لقد كان حسداي يحمل مشروعًا سياسيًا، استخدم لأجله العلم والأدب، ولم يكن مناحم الرجل المناسب لتنفيذ هذا المشروع، بسبب أفكاره الأصولية، فلم يتردد حسداي باستعمال غيره فور العثور عليه، وقد كان هذا البديل هو دوناش، الذي بدت ملامح مشروعه الأدبي أكثر اندماجًا مع الثقافة العربية المحيطة، ومن هنا بدأ حسداي تنفيذ مشروعه بدون قوى حقيقية تمنعه أو تبطئ من سيره.

صنعة الشعر العبري

إن أهم عمل قام به دوناش هو خلق نموذج عروضي للشعر العبري، ليصبح موزونًا على نظام التفعيلة العربي(100)، فقد بدأ دوناش ينظم الشعر العبري بالاعتماد على العلاقة بين سواكن الحروف ومتحركاتها، مما أعطى هوية عروضية للشعر العبري، بعد أن كان معتمدًا في نظمه على العناصر الجمالية فقط، وعلى التماثل والمجاز، بشكل نسبي لا يمكن قياسه، وقد تعرض دوناش للانتقاد من بعض الأدباء على عمله هذا، وكان تلاميذ مناحم - مثل إسحق بن قبرون- من أشد منتقديه، وكان من الطبيعي أن يقابَل مشروع دوناش بالرفض من بعض الأدباء، وذلك لعدة أسباب، وهي: أن أي تغيير - أدبي أو غيره - يُقاوَم بالرفض لاعتبارات ثقافية مجتمعية أو نفعية شخصية، وأن دوناش يمثل مدرسة جديدة من الاندماج، وهذه المدرسة على عداء مع طلاب مناحم، ومن سار على فكرهم الأصولي، وكانت سلطة حسداي - التي استخدمت مدرسة دوناش الجديدة - كفيلة بترجيح كفة دوناش، ليُحسَم الأمر بتأسيس مرحلة جديدة من الشعر العبري، قائمة على نظام التفعيلة العربي.

بنية وموضوعات القصيدة العبرية

انتهى دوناش من أمر الوزن بنجاح، ثم بدأ في صنع بنية للقصيدة العبرية، وتناوُل موضوعات جديدة فيها، وذكر أشتور أن دوناش نقل بنية القصيدة العربية إلى القصيدة العبرية، فاستخدم المقدمة، واهتم بالانتقال والوحدة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والصورة البلاغية والمحتوى، كما استخدم الموضوعات الشعرية العربية في قصائده، مثل؛ الحكمة، والخمريات، حتى إنه تخيل صديقًا ينادمه(101)، وكذلك فقد ذكرت الموسوعة اليهودية تعددَ موضوعات الشعر عند دوناش، لتشمل؛ الحكمة، والمدح، والصداقة، والحب، ووصف الطبيعة، ومُتَع الحياة، ووصف الخمر، ونظم الشعر التعليمي، والشعر الديني والطقسي(102)؛ أورد «بيتر كول» في كتابه «حلم القصيدة: الشعر العبري من إسبانيا المسلمة والمسيحية 1492 - 950م» عدة قصائد لدوناش، نذكر منها هذا المقطع على سبيل المثال(103):

إلى صوتِ المياهِ المتدفقة،

مداعبَةُ أوتارِالقانون

ترافقُ المطربين

معالم زمارٍ والعود.

وقد استخدم دوناش في هذا المثال صورةً شرقية الملامح، ذكر فيها آلات القانون والعود والمزمار.

من دوناش بن لبراط إلى يهوذا هاليفي

كانت زوجة دوناش هي أول المتأثرين بالثورة الأندلسية للشعر العبري، وزوجة دوناش مجهولة الاسم، ولم يصلنا من أعمالها إلا قصيدة واحدة، وربما لم تكتب غيرها، وغرض القصيدة شرحُ حبها لدوناش ومعاناتها بفراقه، حيث كان دوناش قد غادر الأندلس مضطرًا عام 985م لأسباب غير معلومة، والجدير بالذكر أن زوجة دوناش هي الشاعرة العبرية الوحيدة المعلومة في العصور الوسطى، وقد أورد كول قصيدتها، ومن اللافت للنظر أنها استحضرت في مطلعها صورة الظبي أو الغزال، إذ قالت(104):

هل حبُها سيتذكرُ ظبيَته حَسَنةَ الشَّمائل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن شعراء الأندلس العبريين الشاعر «إسحق بن مارشاءول»، الذي تناول في شعره موضوعات عديدة، مثل؛ سر الحب والافتتان والصحبة ورونق الشباب، وهي كلها موضوعات جديدة على الشعر العبري، وقد ذكر أشتور أن تلك الموضوعات هي نتيجة لتأثُر ابن مارشاءول بالموضوعات العربية(105)، يقول ابن مارشاءول في مطلع قصيدته «ظبي سعى في إسبانيا»(106):

ظبيٌ سعى في إسبانيا

يصنعُ العجائبَ برغبةٍ

ومن خلالها يسيطرُ على

كلِّ المخلوقاتِ من الذُّكورِ والإناثِ

ونلاحظ استخدام ابن مارشاءول في المقطع السابق صورةَ الغزال، وهي صورة مألوفة في الشعر العربي، كما استخدم ابن مارشاءول الضمائر المذكّرة في خطابه، وربما قصد الغزل بفتى، أو خطاب الأنثى بصيغة الذكر، على طريقة العرب أيضًا، واستمر ابن مارشاءول بتأثره بالصور العربية في القصيدة، حيث أكمل غزله بتشبيه المحبوب/ة بالقمر، واستبكى الطيور، فقال:

إذن فابك معي، أيَّتُهَا الطيور؛

كلَّ حدأةٍ وصقر

ومن شعراء القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين الشاعر «إسحق بن خلفون»، الذي قدِمَ من شمال أفريقيا إلى الأندلس مع والديه، وقد ابتدع ابن خلفون بدعة جديدة لم يعرفها الشعر العبري في تاريخه، وهي امتهان الشعر، بمعنى أنه كان يصنع القصيدة للتكسب منها، وقد أكدت الموسوعة اليهودية على ذلك، وأشارت - نقلًا عن كتاب «المحاضرة والمذاكرة» لموشيه بن عزرا- أن ابن خلفون هو الشاعر العبري الوحيد الذي امتهن الشعر «على طريقة الشعراء العرب الطوافين»(107)، كما ذكر محمد بحر أنها الحالة الأولى في تاريخ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأدب العبري التي يظهر فيها أدب الكدية(108)، ويبدو أن ابن خلفون قد استغل تغيُّر مفهوم الشعر عند ذوي النفوذ من اليهود، حيث أصبح وجهاءهم يحيطون أنفسهم بالشعراء على طريقة أصحاب السلطة من العرب، مما فتح بابًا لم يكن موجودًا من قبل لتكسب الشعراء العبريين؛ وبالإضافة إلى مدح الوجهاء، فقد تعددت موضوعات قصائد ابن خلفون، لتشمل المدح، والرثاء، والهجاء، والوداع، والصداقة(109)، والغزل، وقد ذكر أشتور أن شعر الغزل لدى ابن خلفون منظوم على طريقة الشعراء العرب(110)، وقال كول: إن ابن خلفون «وسَّع نطاق الشعر العبري الأندلسي الجديد ليشمل كلَّ العناصر العربية، وكلًا من رشاقة البنية وخفة الأسلوب»(111)، وعند تقدم العمر بابن خلفون عمل لدى أهم رجل يهودي في تاريخ الأندلس قاطبةً؛ «شامويل هاليفي».

وشامويل هاليفي - أو كما تسميه المصادر العربية «إسماعيل بن النغريلة»- ولد في قرطبة، وهاجر منها طفلًا مع جموع كبيرة من اليهود والمسلمين إثر ثورة الأمازيغ عام 1013م، وانتقل بين المدن حتى استقر به الحال في غرناطة، والتي كانت وقتها مستقلة عن الحكم الأموي في قرطبة، ويحكمها «الزيريون» - وهم أسرة صنهاجية - في فترة تاريخية تُعرَف بـ «الطوائف»، انقسمت فيها مدن الأندلس، واستقلت بذاتها؛ وقد بدأ شامويل بالتدرج في المناصب في غرناطة، حتى وصل رئاسة الوزراء فيها، وقد ساعد شامويل «باديسَ»ضد أخيه «بولوغين» في الوصول إلى حكم غرناطة بعد وفاة أبيهما عام 1038م، فاستعمله باديس ليصبح شامويل قائد الجيش في غرناطة، بالإضافة إلى منصبه السابق كرئيس وزراءها، كما كان شامويل زعيما لجالية اليهودية في الأندلس، بالإضافة إلى كونه شاعرا، وباحثا في القانون الديني، ومفسرا للتوراة، ونحويا، وهو ما دعا الموسوعة اليهودية لوصفه بأنه اليهودي صاحب الإنجاز الأعلى على الإطلاق في العصر الإسلامي في إسبانيا(112)، وقد بقي شامويل في مناصبه حتى وفاته عام 1056م.

وكتب شاموي لما يزيد على ألفي قصيدة، تعددت موضوعاتها، وكان منها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أشهر المراثي في تاريخ الشعر العبري، والتي كتبها في شقيقه، كما شملت موضوعاته الحكمة، ووصف الطبيعة، والخمريات، والإخوانيات، ونظم الشعر بالعربية أيضًا، وكانت قصائدة رائجة ومشهورة، وهو ما أشار إليه «موشيه بن عزرا» - شاعر وفيلسوف ومؤرخ - بحديثه عن الانتشار الكبير في قصائد شامويل في الأندلس وسوريا ومصر وبابل وشمال أفريقيا(113)، وقد ساعد منصب شامويل العسكري في تقديمه موضوعًا جديدًا آخرَ في الشعر العبري، وهو شعر الحماسة ووصف المعارك والحروب، وكان هذا نتيجة الحروب التي خاضها، حيث تميزت فترة الطوائف بكثرة الحروب والصراعات الدموية بين ملوك الطوائف الأندلسية فيما بينهم، أو مع الممالك المسيحية المجاورة، وأورد محمد بحر بعضًا من شعره، ومنه قوله(114):

والخيلُ تجري رواحًا وغدوًّا

كأفاعٍ أطلِقت من جحورِ

والرماحُ التي ترمي

كالبرقِ يملأ بريقُها الفضاءَ

والسّهامُ كأنّها مطرٌ يَنهمر

وظهورُ الخيلِ أضحت كالغربال

وقد لعب شامويل دورَ السلطة بجدارة في ثنائية السلطة والشعر، وهو الدور نفسه الذي لعبه حسداي بن شبروط قبله، فكان شامويل الوجيه الجديد الذي اهتم بتطوير الشعر، قال إبراهيم بن داود - مؤرخ وفيلسوف يهودي عاش في القرن الثاني عشر: «بدأ الشعراء يزقزقون في عهد الوجيه حسداي، ثم راحوا يغردون بصوت عالٍ في عهد شامويل» (115)، وقد رعى شامويل شعراء مهمين في تاريخ الأدب العبري؛ مثل: إسحق بن خلفون، و «يوسف بن حسداي»، وشلومو بن جابيرول، وصَنَع من غرناطة مركزًا جديدًا للنهضة الشعرية والأدبية العبرية، بعد تفرق الجمع العربي عن قرطبة، وهو ما استمر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حتى بعد موته، إذ ظهر فيها لاحقًا موشيه بن عزرا، ويهوذا هاليفي، بل ربما كان بُعدُ بعض الشعراء عن غرناطة سببًا في ضعف تأثيرهم في الشعر العبري، ومنهم - ممن ذكرهم كول - «إسحق بن غياط»، رئيس أكاديمية «اليسانة»، و«يوسف بن تزاديك»، وهو شاعر وحاخام وفيلسوف وقاضٍ، وابن لعائلة من الطبقة البرجوازية، وما يميزه بشكل خاص هو براعته في نظم الموشحات، التي انتقلت أيضًا في جملة ما انتقل من الأدب العربي إلى الأدب العبري؛ و «ليفي بن التبّعان» في سرقسطة، و «باهيا بن باكودا»، الشاعر والقاضي الذي عاش في سرقسطة أو قرطبة(116).

ويوسف بن حسداي هو الشاعر صاحب القصيدة اليتيمة، والتي نظمها من خمسة وتسعين بيتًا بغرض طلب المساعدة من شامويل هاليفي في إيجاد مأوى لأخوين قدما من مدينة «مدمَرة»، وقد بدأها يوسف بمقدمة، ثم مذح للناغيد شامويل، ودعاء لابنه يوسف، ثم تطرق إلى غرضه، وقد أشاد موشيه بن عزرا بالقصيدة كثيرًا، وقد قال يوسف في مطلعها(117):

هل ذلكَ الظبيُ شجاعٌ جدًا ليلفَّ

نفسَه في حجابٍ من الليلِ مثلَ الرّداء،

ليرعى النجومَ بحلولِ الليلِ، ويتجولُ

خلالَ حطامِ الصحراءِ في رعبٍ وقلق؟

هل يتركُ صوتَ العودِ ويذهبُ للجزع؟

للتجوالِ والخطرِ يغادرُ حجرَته

حتى يعلقَ في شبكةٍ من الأحلام

ويدخلَ بسرعةٍ في فخِ النوم.

أما شلومو - سليمان - بن جابيرول فهو من شعراء القرن الحادي عشر البارزين، واعتبره دوبونوف شاعرَ فترته الأول، ووصفه بـ «فارس الأسلوب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وسيد الشعر»(118)، وعدّه كولتانيّ أهم شاعر عبري في العصور الوسطى بعد يهوذا هاليفي(119)،نشأ شلومو في سرقسطة، وأتقن الشعر في سن صغير، ثم غادر إلى غرناطة بعد موت سيده، حيث استقر به الحال عند الناغيد شامويل هاليفي، وبقي هناك يمدحه ويكتب في موضوعات فلسفية ودينية أخرى، وقد كان شلومو يعاني من مرض عضال - ليس معروفًا بالتحديد ما هو- خلق لديه حالة من العزلة والتشاؤم، وربما أثر في نظرته لنفسه وسلوكه، فقد وصف نفسه في شعره بالقصير والضعيف والقبيح، كما جعله المرض عصبيًا وحاد المزاج، مما كان يؤدي به في الكثير من الأحيان لبعض النزاعات مع رجال بارزين، أو مع المجتمع عمومًا، ومنها نزاعه لاحقًا مع شامويل هاليفي؛ وكتب شلومو في الكثير من الموضوعات الشعرية، ومنها المدح؛ حيث مدح شامويل وغيره، والرثاء؛ حيث كتب في رثاء أبيه وأمه، وسيده السابق «جاكوثيال بن إسحاق» بعد مقتله، كما كتب شعرًا دينيًا وطقسيًا، ومنها قصيدته «تاج المملكة»، والتي تعتبَر واحدة من أعظم وأهم قصائد الشعر العبري على الإطلاق، وكتب شلومو أيضًا في الحب، والعزلة، والنزعة التشائمية، والسخرية من المجتمع.

وقد كان شلومو نحويًا وفيلسوفًا مهمًا، بل يُعتبَر أحد أعمدة الفلسفة اليهودية إلى يومنا هذا، كما كتب في الأخلاق والحكمة أيضًا، وقد أشارت الموسوعة اليهودية أن قصائد شلومو تعكس علمه في الفلسفة الأفلاطونية الحديثة، وعلم الفلك، حيث كان شعره ميتافيزيقيًا وفلسفيًا وغامضًا، يثير العقل والفكر، أما قصائده الدينية ففيها النزعة الصوفية(120)، ولشلومو قصيدة تعليمية تشرح اللغة العبرية، يُعتقَد أنها مكونة من أربعمائة مقطع، وصلنا منها ثمانية وثمانون مقطعًا فقط، ويعتبر المتحمسون من الأكاديميين العرب هذه القصيدة شبيهة بـ «ألفية ابن مالك».

وعن تأثر شلومو بالشعر العربي، تقول الموسوعة اليهودية: «موظفًا الصور والتعابير من الشعر العربي، قام - شلومو - بدمجها بأسلوب مبتكر، مع استخدام

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

استعارات ذهنية رائعة»، وتقول أيضًا: «من الواضح من شعره الخاص بالطبيعة أنه تأثر بالثقافة الإسلامية السائدة في ذلك الوقت في إسبانيا»(121)، واختلف المؤرخون في تحديد الوقت الذي مات فيه شلومو، فبحسب موشيه بن عزرا فقد مات في عمر الثلاثين، بينما ذكر ابن داود أنه مات عام 1070م، عن عمر قارب الخمسين عامًا، ومن شعره الذي أورده كول(122):

أيُّها الباحثونَ عن الحقيقةِ، أقبِلوا إلى قصائدي

وأنتَ أيُّها الجاهل، تعلَّم

ستعلِّمُكَ الحكمةَ الخفيةَ

وترشِدُكَ وسطَ كلِّ هذا الغموض

لا تقع ضحيةَ الكلماتِ الفارغةِ والعبث

ولكن تمسَّك بتلكَ القصائد وسوفَ تملكُ الحقيقةَ

لأنَّ القصيدةَ الضعيفةَ تقتلُ روحَ مؤلِفِها

وبينما ما يزال هو حيًا، تموتُ هيَ

بينما الجيدةُ في الذاكرةِ تستمر

مثلَ القمرِ الجديد، شهرًا بعد شهرٍ في سطوعِه

وفي غرناطةَ أيضًا ظهر الشاعر موشيه - أو موسى - بن عزرا، الذي ولد فيها لأسرة أرستقراطية، ولكن الظروف السياسية ليهود غرناطة لم تعد مستقرة بعد ثورة مسلميها على يوسف ابن الناغيد شلومو هاليفي، وقتله، فرحل موشيه منها إلى إسيانة، وتتلمذ على يدي ابن الغياط، وما لبثت الظروف في غرناطة أن تحسنت مرة أخرى، فعاد موشيه إليها، وتقلد فيها منصبًا شرفيًا مهمًا، وبقي هناك حتى دخول «المرابطين» إليها عام 1090م، والذي ترتب عليه مصادرة ثروة أهله ورحيل إخوته من غرناطة، ولكنه بقي حتى أُجبِر على الرحيل منهامع أسرته لأسباب غير معلومة،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأشار كول إلى أن سبب ترحيله ربما يكون تورط إحدى بنات عمه في فضيحة ما، فقضى موشيه حياته في الشمال متجولًا بين الممالك المسيحية، وعاش حياة الفقر إلى آخر عمره بعد أن كان من أسرة برجوازية غنية.

أشار كول إلى كَوْن موشيه بن عزرا الشاعرَ الثالث من حيث الأهمية، بعد يهوذا هاليفي وشلومو بن جابيرول، وقد تناول موشيه في شعره موضوعات كثيرة؛ منها التأملي، والحسي الشهواني، والطقسي التعبدي، والاحتفاء بالحياة، والحب، والخمريات، ووَصف الطبيعة، ووصف الحياة الريفية، والصداقة، والشيخوخة، وتقلبات الحظ، والموت، والثقة بالله؛ ومن مميزات شعره توظيفه الزخرفة بشكل هادئ، واهتمامه بالجناس، قال عنه كول(123): «اجتذب ابن عزرا إلى أعماله ذلك الدمج العميق بين العناصر الأدبية العربية والعبرية، وهو ما أهله ليُعتبَر الشاعر الممثل للعصر الذهبي الإسباني - العبري»، وأشارت الموسوعة اليهودية إلى تأثره بشامويل هاليفي، واهتمامه بموسيقى الشعر وإيقاعه، وبراعته فيها، وإلى إتقانه الوزن العربي، وغيره من الخصائص الشعرية للقصيدة العربية، فجاء في الموسوعة(124): «في شعر ابن عزرا الديني، توجد بعض التأثيرات - على صعيد الصور والأفكار والتعابير - القادمة من شعره غير الديني، والتي تأثرت بشكل مباشر بالأدب العربي. العناصر الدينية اليهودية والأدبية العربية متشابكة بشكل فعال عنده»، ومن شدة براعته في الجناس استخدمه في نظم كتابٍ كامل، هو كتاب «سفر هاناك»، حيث قفى فيه موشيه كلَّ جملة شعرية في المقطع الواحد بنفس الكلمة بمعانٍ مختلفة؛وقد كان موشيه فيلسوفًا وناقدًا ومؤرخًا أيضًا، ومن أشهر كتبه «مقالات الحديقة في معنى المجاز والحقيقة»، و «المحاضرة والمذاكرة»، وهي مكتوبة بالعربية، وكان شلومو صديقًا مقربًا ليهوذا هاليفي، ساعده وشجعه في بداية مسيرته، ومن شعره قصيدة «تنهيدة الغزال»، والتي يقول في مطلعها(125):

عجّلوا إلى منازلِ الأحبابِ الذين الزمانُ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بعثرهم وتركهم خلفَهُ أطلالًا

ما كانَ في الماضي مساكنُ للغزلانِ الجميلةِ

ملاجئَ اليومَ للأسودِ والذئاب

ومن الواضح استخدام موشيه مطلقًا طلليًا، بدأ فيه بالدعوة إلى زيارة آثار الأحباب، ثمّ مقارنة حالها الجديد بالقديم، وتبدُّل حيواناتها الأليفة الجميلة بالشرسة، وهذه الطريقة في الاستهلال والترتيب عربية بامتياز، ولا حاجة لنا لذكر أمثلة عليها، وإلا لامتلأ الكتاب عن آخره بها.

وآخر شاعر يهودي أندلسي تحت حكم المسلمين - حيث بدأت هجرات اليهود نحو الممالك المسيحية، وضعفت الممالك المسلمة وبدأت بالسقوط منتصف القرن الثاني عشر، وبقيت غرناطة وحدها إلى منتصف القرن الخامس عشر- هو أهم شاعر عبري على الإطلاق كما يراه كول -وكثيرون غيره - وهو يهوذا هاليفي، الذي ولد في طليطلة - على الأرجح - عام 1075م لأسرة غنية، اهتمت بتعليمه، حيث تلقى تعليمه بالعربية والعبرية، وقد أعجِبَ موشيه بن عزرا بشعره وهو في مقتبل العمر، فدعاه إلى غرناطة على اعتبارها مركزًا للأدب والثقافة، وهناك بدأت موهبته الشعرية تنتشر أكثر، وعندما حكم المرابطون الأندلس عام 1090م، تدهورت أوضاع اليهود - كما يقول بيتر كول - فقضى هاليفي عشرين عامًا من حياته متجولًا، إلى أن استقر في الشمال المسيحي لأيبيريا، وتحديدًا في «قشتالة»، حيث عمل طبيبًا في محكمتها، وتاجرًا، وكان نشِطًا اجتماعيًا ومعروفًا لدى المجتمع اليهودي هناك، وفي عام 1108م، قُتِلَ سيده «سليمان بن فيرزاءول» - الذي كان مقربًا من الملك «ألفونسو السادس» - لأسباب سياسية، فقلق هاليفي على وضعه في المحكمة القشتالية، وبعد عدة أشهر من الحادثة مات الملك ألفونسو، وبدأت أعمال عنف ضد اليهود بوفاته، فرحل هاليفي وتجول بين الممالك مع زوجته وابنته (126)،ورأى دمار المجتمعات اليهودية في ممالك أيبيريا، وقد دعا تدهور الأوضاع الأمنية والحضارية هاليفي لمغادرة أيبيريا، على الرغم من عدم تدهور وضعه المالي،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إلا أنه لم يحس بالأمان، فقرر الرحيل إلى القدس عام 1140م، وزار في طريقه مصر.

وقد ركز الكثير من الباحثين الذين درسوا حياة هاليفي على رحلته إلى القدس باعتبارها رحلة دينية، وتجاهلوا أو قللوا من شأن الظروف السياسية التي عانى منها يهود أيبيريا، وجعلتهم يبحثون عن أي مكان آخر يعيشون فيه، فالموسوعة اليهودية مثلًا اعتبرت رحلة هاليفي إلى القدس -أو كما تسميها «أرض إسرائيل»-رحلة مقدسة، ومناسبة لفلسفة هاليفي التي تخلص إلى أن المكان الأمثل لتواجد اليهود هو «أرضهم»(127)، لقد كان إنتاج هاليفي للشعر الديني والطقسي غزيرًا بالفعل، وكانت فلسفته الدينية ترى تفوق الديانة اليهودية على غيرها، وهو ما صاغه في كتابه «الحجة والدليل في نصرة الدين الذليل» أو «الكوزاري»، والذي يُعتبَر أهم كتب تلك الفترة، وهو كتاب جاء لإثبات تفوق اليهودية على المسيحية والإسلام، ولم يستخدم هاليفي فيه حججًا منطقية كما فعل موسى بنِ ميمون، على اعتبار أن للإله منطق مختلف عن البشر(128)، ولكن وبالرغم من ذلك التوجه الديني في قصائده وكتبه، إلا أن تصويرَ دافعِ رحلتِه إلى القدس على أنه ديني يعتريه الغموض، ويحتاج إلى توضيح؛لماذا لم يهاجر هاليفي إلى القدس قبل وفاة سيده ابن فيرزاءول؟ ولماذا قضى عشرين عامًا متجولًا قبل أن يذهب إلى القدس؟ هل ملك هاليفي كلَ الخيارات المتاحة، فاختار القدس؟ أم لم تترك له الظروف المتاحة غيرها؟ لم تكن رحلة هاليفي إلى القدس دينية، بل كانت بحثًا عن مكان آمن يقضي بقية عمره فيه، وربما شد بريقُ القدس الديني هاليفي، وبما أنه مهاجر في كل أحواله، أعجبه أن يكون مهاجرًا لقضية دينية، ولكنها في الحقيقة لم تكن قضيته؛مات هاليفي عام 1141م، وكان قد خرج من الإسكندرية في مصر نحو القدس، ومن غير المعلوم إذا كان وصلها أم لا، فلم يُسمَع عنه شيء بعد خروجه.

أما عن شعره، فقد اعتبره كول سيد الوزن والشعر العبري الأول(129)،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأطلق عليه موشيه بن عزرا لقب «غواص اللآلئ وسيد الجواهر الأكثر ندرة وتألقًا في الغناء»(130)، وبالإضافة للقصائد الدينية الكثيرة التي نظمها هاليفي، فقد كتب أيضًا في كل المواضيع الأندلسية، مثل: المدح والصداقة والحب والمراثي على الرغم من محاولاته أواخر سنين حياته من تقليل الأثر العربي في قصائده، جاء في الموسوعة اليهودية: «اتبع هاليفي تقاليد زمانه في قصائده والتي من الممكن اعتبارها (شكلية)، مثل أغلب قصائده في الحب أوالعربدة والتي من الممكن أن تكون -أحيانًا- ترجمات حرفية تقريبًا من العربية، ولكن على الرغم من ذلك كان له نمط فريد وشخصي»(131)، وقد اهتم هاليفي بالقوافي الداخلية في جمله الشعرية في الكثير من الأحيان، ومن شعره قصيدة «تفاحة أخرى»، والتي يقول فيها(132):

لقد أسرتِني، ظبيةَ السرورِ، بجمالِك

وفي ذلك الأسرِ تعاملتي معي بلا رحمة

منذ أنْ افترقنا ذلك اليوم

لم أرَ شيئًا يماثلُ جمالَك

وكثيرًا ما كنتُ ألتفتُ إلى تفاحةٍ لتسعفَني

والتي عبيرُها يستدعي أنفاسَكِ مثلَ شجرِ المر

شكلُها، صدرُكِ، ولونُها المتورد

الذي يركضُ في خدودِك عندما تخجلين

رؤية الأدباء والمؤرخين اليهود للشعر العربي في الأندلس

بدأ إطراء اليهود على الشعر العربي الأندلسي منذ زمان الأندلس نفسها، وهو مستمر حتى يومنا هذا، قام سيد فرج راشد في كتابه «القدس عربية إسلامية» بنقل رأي يهوذا حريزي -وهو حاخام وشاعر ومترجم يهودي عاش في القرنين

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الثاني عشر والثالث عشر في طليطلة- الذي دونه في المقامة الثامنة عشرة من كتابه «تحكموني»، حيث قال: «اعلموا أن الشعر الرائع الذي يمتلئ بالنفائس والروائع هو من ممتلكات العرب في البداية، واستطاعوا رأب كل صدع فيه وأن يزنوه بموازين عادلة وأن يضعوه في مكانته، بل وأثروا به على غيرهم فنجدهم قد بنوا أساقفه وشذّبوا قصوره وأقاموا مصاريعه ولهم اليد الطولى بين شعراء الدنيا.

فنجدهم أول من يتحدثون إذا ما ذعي الشعراء للحديث، وعلى الرغم أن لكل أمة من ينظم لها الشعر ويعمل في صنعة الشعر، إلا أن شعرهم لا يمثل شيئًا وكلامهم نوع من العبث الذي لا يجدي بالمقارنة بشعراء أبناء الإسماعيليين - ويعني العرب - حيث لا نجد الشعر الجميل اللفظ، الجزل العبارة مثل الشمس في إشراقها، صحيح المخرج كالفجر إلا لدى العرب، أما الباقون فلا يعتبرون إلى جانبهم شيئًا»(133)، ونقل محمد فتحي البغدادي في بحثه المعنون بـ «المؤثرات العربية في شعر يهود الأندلس» رأيَ موشيه بن عزرا الذي أورده في كتابه «المحاضرة والمذاكرة»، والذي قال فيه: «إن الشعر عند العرب طبع، ولدى غيرهم تطبع، فالعرب منحهم الله البيان وهيأهم للعناية بفصاحة اللسان، وبهذا فخر بعضهم قائلًا: لسان العرب بين الألسنة كزمن الربيع بين الأزمنة»(134).

أما حديثًا، فقد تناولت الكثير من الأبحاث والكتب علاقة الشعر العبري بالعربي في الأندلس؛ درس الأكاديمي اليهودي «حاييم شيرمان» في كتابه «تاريخ الشعر العبري في إسبانيا المسلمة» أثرَ المدرسة الأندلسية على الشعر العبري بين القرنين العاشر والثاني عشر، ولم يمل شيرمان طوال كتابه من الإطراء على المرحلة التي وصلها الشعر العبري في ذلك الوقت، حتى أنه وصف تلك الفترة بـ «ذات الطبيعة المعجزة»(135)، وقد وصفَت هذه المرحلة من حياة يهود الأندلس مرارًا وتكرارًا بـ «العصر الذهبي»، بل إن مصطلح العصر الذهبي أصبح مرافقًا لهذه الفترة، ودالًا عليها، وأصبح نفسه محل دراسة، فيرى الأكاديمي والحبر اليهودي «إسمار شورش» أن أول من استخدم هذا المصطلح

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هو «فرانز ديليتش»، وهو عالم لاهوت ألماني مختص بالدراسات العبرية واليهودية(136)، أما المؤرخ اليهودي النمساوي إلياهو أشتور فقد عنون الفصلَ الأول من الجزء الثالث من كتابه «يهود إسبانيا المسلمة» بعنوان «العصر الذهبي للأدب العبري»(137)،. ويقول رودلف كايسر: «في الشعر والفلسفة، في الطب وقواعد اللغة، أثرى العرب أوروبا في العصور الوسطى أكثر من أي أمة أخرى»(138).

نتائج دراسة الحالة

انقلب حال الشعر العبري باختلاط ناظميه بشعراء العرب في الأندلس، فبعد أن كان نظام وزنه غير واضح عبر تاريخه كله، أصبح موزونًا على نظام التفعيلة العربي، كما كسر الشعر العبري انحسار مواضيعه بالترانيم الدينية وشعر البيوت الطقسي، ليشمل مواضيع جديدة، مثل؛ الحكمة والأخلاق والشعر التعليمي، ووصف الطبيعة وذكر مُتَع الحياة ووصف الحياة الريفية والتغني برونق الشباب، والخمريات والصداقة، والمدح والحماسة والرثاء، والتصوف والتأمل، والغزل والاشتهاء الحسي، ووصف العزلة والتشائم والسخرية من المجتمع، والشيخوخة وتقلبات الحظ والموت، لم يكن ما حصل للشعر العبري تطورًا طبيعيًا وإنسانيًا للموضوعات، بل كان نتيجةً حضارية، وأثرًا للاستقرار السياسي والاقتصادي للمجتمع اليهودي في الأندلس، وبسبب الاختلاط بعرب الأندلس، وهو ما شهد به المؤرخين غير العرب، ومنهم اليهود، مثل؛ يهوذا حريزي وموشيه بن عزرا وحاييم شيرمان وإلياهو أشتور ورودلف كايسر، وحتى الأكثرهم تحيزًا، مثل الموسوعة اليهودية، حتى أصبح يطلق على هذه الفترة من تاريخ الشعر العبري «العصر الذهبي».

لم يكن الأثر العربي في الشعر العبري مرتبطًا بالوزن والموضوعات فقط، بل وصل إلى بنية القصيدة، حيث أصبحت القصائد العبرية الأندلسية ذات مقدمة، ومهتمة بالانتقال والوحدة والصورة البلاغية والمحتوى، كما استخدم الشعراء العبريون ألفاظًا ترد كثيرًا في الشعر العربي، مثل «الظبي»، واستعانوا بصورٍ ألِفها الشعر العربي لقرون، بل وكرروا تفاصيلَ خاصة ببعض الشعراء أو بعض القصائد، مثل؛ منادمة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

صديقٍ من خيال الشاعر، وخطاب الأنثى بصيغة الذكر، واستبكاء الطيور، كما ظهرت الثقافة العربية في تفاصيل أخرى، مثل؛ ذكر أدوات العود والقانون، وهي أدوات موسيقية شرقية، ومن الشعراء العبريين من كتب شعرًا بالعربية أيضًا، كما اختلفت أيضًا علاقة الشعر بالسلطة في المجتمع اليهودي، حيث أصبح الوجهاء يحيطون أنفسهم بالشعراء على طريقة ذوي النفوذ من العرب، مما استدعى ظهور أدب الكدية، ثم تعدى تطور الشعر العبري العناصرَ الرئيسية والفرعية في القصيدة، ووصل إلى الإبداع الجمالي، حيث ظهرت الموشحات، واستخدم الشعراء العبريون الجناس والقوافي الداخلية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخلاصة

أتى هذا الكتاب لاستقراء الفكر اليهودي، ومحاولة فهم ملامحه الرئيسية، فقمنا من أجل ذلك بتحليل عميق لنصوص من الموسوعة اليهودية، ووصلنا إلى أن الفكر اليهودي خرج من إطاره الديني، وأصبح موجّهًا سياسيًا لخدمة الحركة الصهيونية، وأنه يستخدم التاريخ بشكل مشبوه ومتحيز لإثبات حق وهمي لليهود في فلسطين، حيث يصورهم طوال الوقت بأنهم مظلومون ومضطهدون، ومجبورون على العزلة من الآخرين، وأن خلاصهم هو تجمعهم معًا في فلسطين.

ومن أجل اختبار فرضية انعزال اليهود، قمنا بدراسة حالة للمجتمع الشعري اليهودي في الأندلس المسلمة، ولم نصل إلى ما يثبت هذه الفرضية، بل وجدنا أن الشعر العبري قد ذاب بشكل كامل في الشعر العربي، وسلّم نفسه كمادة خام طوعها الشعر العربي، وأنتج منها «العصر الذهبي» للقصيدة العبرية.

إن المكتبة العربية بحاجة إلى المزيد من الدراسات التي تناقش فكرة انعزال المجتمعات اليهودية، والدراسات التي تتناول الأدب العبري، لأن العبرية هي اللغة الرسمية للدولة الصهيونية المحتلة، وأدبها يحمل بين سطوره مفاهيم المجتمع المحتل، وما لا يقال صراحةً فيه، فدراسة الشعر العبري هو جزء من الصراع الطويل الدائر في هذه المنطقة منذ القدم، وإنّه لمن العبث، بل من السفاهة التعامل مع عدو لا نعرف فكره وتاريخه بالتفصيل، حتى لو كان تاريخًا مصطنعًا.

Telegram:@mbooks90

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المراجع

المراجع العربية

• القرآن الكريم.

الكتاب المقدس. (1994م). القاهرة: دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.

• الأندلسي، ابن حزم. (1987م). رسائل ابن حزم الأندلسي. (تحقيق إحسان عباس، الطبعة الثانية). بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

• الأندلسي، علي بن موسى بن سعيد المغربي. (1955م). المُغرب في حلى المغرب، الطبعة الثالثة (تحقيق شوقي ضيف). القاهرة: دار المعارف.

• البغدادي، محمد فتحي. (2000م).المؤثرات العربية في شعر يهود الأندلس. دراسة في ندوة اللغات والترجمة: الواقع والمأمول، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض السعودية.

• التلمساني، أحمد بن محمد المقري. (1968م). نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (تحقيق إحسان عباس). بيروت: دار صادر.

• الجزريّ، ابن الأثير. (1987م). الكامل في التّاريخ (تحقيق أبو الفداء عبدالله القاضي). بيروت: دار الكتب العلمية.

• الحفني، عبد المنعم. (1980م). الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية. القاهرة: مكتبة مدبولي.

• حمدان، جمال. (2018م). اليهود أنثروبولوجيًا، الطبعة الثانية. القاهرة: دار المعارف.

• الخالدي، خالد يونس عبد العزيز. (1999م). اليهود في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس (897-92 هـ = 1492 - 711م). أطروحة دكتوراه. جامعة بغداد، بغداد، العراق.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

• الدمشقي، ابن كثير. (1990م) البداية والنهاية (ضبط وتصحيح وشرح هيئة بإشراف الناشر). بيروت: مكتبة دار المعارف.

• ديورانت، ويل، وديورانت، ايريل. (1988م). قصة الحضارة (تقديم محيي الدين صابر، وترجمة زكي نجيب محمود ومحمد بدران). بيروت: دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع.

• راشد، سيد فرج. (1986م). القدس عربية إسلامية. الرياض: دار المريخ للنشر.

• الطائي، أبو تمام حبيب بن أوس. (1998م). ديوان الحماسة: برواية أبي منصور موهوب بن أحمد بن محمد ابن الخضر الجواليقي (شرح وتعليق أحمد حسن بسج). بيروت: دار الكتب العلمية.

• الطبري، أبو جعفر. (1967م). تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، الطبعة الثانية (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم). القاهرة: دار المعارف.

• عبد المجيد، محمد بحر. (1970م). اليهود في الأندلس. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.

• عميره، مهند.(2020م). صنعة الشعر العربي: تأثير الحضارة والثقافة. القاهرة: دار المعارف.

• لوبون، غوستاف. (2012م). حضارة العرب (ترجمة عادل زعيتر). القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

• المسيري، عبد الوهاب. (1999م). موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. القاهرة: دار الشروق.

• الناصري، أحمد بن خالد. (1997م). الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى. (تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري، الطبعة الثالثة). الدار البيضاء: دار الكتاب.

المراجع غير العربية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

Albright, W.F. (1941). New light on the early history of Phoenician colonization. Bulletin of the American Schools of Oriental Research, 83(1), 14–22.

Ashtor, E. (1979). The Jews of Moslem Spain (Translated to English by Aaron Klein & Jenny Machlowitz Klein). Philadelphia: The Jewish Publication Society.

Bermúdez de Castro, J. M., Martinón-Torres, M., Carbonell, E., Sarmiento, S., Rosas, A., Van der Made, J., & Lozano, M. (2004). The Atapuerca sites and their contribution to the knowledge of human evolution in Europe. Evolutionary Anthropology: Issues, News, and Reviews, 13(1), 25-41.

Busk, M. M. (1833). The History of Spain and Portugal from BC 1000 to AD 1814; Published Under the Superintendence of the Society for the Diffusion of Useful Knowledge. London: Baldwin and Cradock, and Paternoster-Row.

Carmi, T. (1981). The Penguin book of Hebrew verse. New York: Viking press.

Christian, D., Brown, C.S., & Benjamin, C. (2014). Big history: between nothing and everything. New York: McGraw Hill Education.

Cole, P. (2009). The dream of the poem: Hebrew poetry from Muslim and Christian Spain 950-1492. New Jersey: Princeton University Press.

Dick, R. (1883). Hebrew Poetry: Sunday afternoon lectures

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

before the Greensbord law school. Greenford: C.F. Thomas book and Job printer.

Dubnov, S. (1973). History of the Jews from the Roman Empire to the early medieval period. New York: Thomas Yoseloff, Inc.

Freund, R. (2012).Digging through History: Archaeology and Religion from Atlantis to the Holocaust. Maryland: Rowman & Littlefield Publishers.

Goitein, S. D. (1983). A Mediterranean Society: The Jewish Communities of the Arab World as Portrayed in the Documents of the Cairo Geniza. Los Angeles & London: University of California Press.

Herder, J.G. (1833). The spirit of the Hebrew poetry (Translated to English by James Marsh). Burlington: Edward Smith.

Isaacs, E. (1918). The metrical basis of Hebrew poetry. The American Journal of Semitic Languages and Literatures, 35(1), 20-54.

Kayser, R. (1949). The life and time of Jehudah Halevi (Translated from German by Frank Gaynor). New York: Philosophical Library.

Lindo, E. H. (1848). The history of the Jews of Spain and Portugal, from the earliest times to their final expulsion from those kingdoms, and their subsequent dispersion with complete translations of all the laws made respecting them during their

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(1) انظر كتابنا «صنعة الشعر العربي: تأثير الحضارة والثقافة» (طبعة دار المعارف)، ص 34.

(2) انظر الموسوعة اليهودية/ الجزء الأول لمايكل بيرينباوم وفريد سكولنيك (طبعة ماكميلان ريفيرينس)، ص 212.

(3) انظر الموسوعة اليهودية/ الجزء الأول لمايكل بيرينباوم وفريد سكولنيك (طبعة ماكميلان ريفيرينس)، ص 207.

(4) انظر الموسوعة اليهودية/ الجزء الأول لمايكل بيرينباوم وفريد سكولنيك (طبعة ماكميلان ريفيرينس)، ص 207.

(5) انظر الموسوعة اليهودية/ الجزء الأول لمايكل بيرينباوم وفريد سكولنيك (طبعة ماكميلان ريفيرينس)، ص 590.

(6) انظر الموسوعة اليهودية/ الجزء الأول لمايكل بيرينباوم وفريد سكولنيك (طبعة ماكميلان ريفيرينس)، ص 213.

(7) انظر الموسوعة اليهودية/ الجزء الأول لمايكل بيرينباوم وفريد سكولنيك (طبعة ماكميلان ريفيرينس)، ص 217.

(8) الغيتو هو حي بائس في المدن تسكنه أقليات معينة.

(9) انظر الموسوعة اليهودية/ الجزء الأول لمايكل بيرينباوم وفريد سكولنيك (طبعة ماكميلان ريفيرينس)، ص 433.

(10) انظر الموسوعة اليهودية/ الجزء الأول لمايكل بيرينباوم وفريد سكولنيك (طبعة ماكميلان ريفيرينس)، ص 264.

(11) كتير آرام زوفا: مخطوطة عبرية للكتاب المقدس تعود للعصور الوسطى.

(12) انظر الموسوعة اليهودية/ الجزء الأول لمايكل بيرينباوم وفريد سكولنيك (طبعة ماكميلان ريفيرينس)، ص 616.

(13) انظر الموسوعة اليهودية/ الجزء الأول لمايكل بيرينباوم وفريد سكولنيك (طبعة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ريفيرينس)، ص 225.

(14) انظر الموسوعة اليهودية/ الجزء الأول لمايكل بيرينباوم وفريد سكولنيك (طبعة ماكميلان ريفيرينس)، ص 215.

(15) انظر الموسوعة اليهودية/ الجزء الأول لمايكل بيرينباوم وفريد سكولنيك (طبعة ماكميلان ريفيرينس)، ص 215.

(16) انظر الموسوعة اليهودية/ الجزء الأول لمايكل بيرينباوم وفريد سكولنيك (طبعة ماكميلان ريفيرينس)، ص 335.

(17) انظر الموسوعة اليهودية/ الجزء الأول لمايكل بيرينباوم وفريد سكولنيك (طبعة ماكميلان ريفيرينس)، ص 224.

(18) انظر الموسوعة اليهودية/ الجزء الأول لمايكل بيرينباوم وفريد سكولنيك (طبعة ماكميلان ريفيرينس)، ص 244.

(19) انظر الموسوعة اليهودية/ الجزء الأول لمايكل بيرينباوم وفريد سكولنيك (طبعة ماكميلان ريفيرينس)، ص 254.

(20) انظر كتاب موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية/ المجلد الثاني لعبد الوهاب المسيري (طبعة دار الشروق)، ص 13.

(21) انظر الموسوعة اليهودية/ الجزء العاشر لمايكل بيرينباوم وفريد سكولنيك (طبعة ماكميلان ريفيرينس)، ص 98.

(22) نفسه.

(23) انظر كتاب اليهود أنثروبولوجيًا لجمال حمدان (طبعة دار المعارف)، ص 130 - 128.

(24) مؤرخ روسي يهودي عاش نهاية القرن التاسع عشر، ومطلع القرن العشرين.

(25) حاخام وفيلسوف ولغوي يهودي مصري، كان رئيسًا لليشيفا في بابل في القرن العاشر الميلادي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(26) شاعر وفيلسوف يهودي أندلسي عاش في القرن الحادي عشر، سنأتي على ذكره لاحقًا بمزيد من التفصيل.

(27) انظر كتاب قصة الحضارة/ المجلد الأول: الجزء الثاني لويل وايريل ديورانت (طبعة دار الجيل، مترجم إلى العربية)، ص 339.

(28) القصيدة في كتاب الحماسة لأبي تمام (طبعة دار الكتب العلمية)، ص 21.

(29) انظر كتابنا «صنعة الشعر العربي: تأثير الحضارة والثقافة» (طبعة دار المعارف)، ص 105.

(30) انظر ورقة بحثية بعنوان «مواقع أتابويركا وإسهاماتها في معرفة التطور الإنساني في أوروبا» لبيرموديز دي كاسترو وآخرون (منشورة في دورية الأنثروبولوجيا التطورية: قضايا وأخبار ومراجعات، باللغة الإنجليزية).

(31) انظر كتاب تاريخ إسبانيا والبرتغال: من 1000 قبل الميلاد إلى 1814 للميلاد لبوسك (نُشِرَ بإشراف جمعية نشر المعرفة المفيدة، باللغة الإنجليزية).

(32) قبائل تنتمي للعرق الجرماني الشرقي.

(33) انظر كتاب الكامل في التاريخ/ الجزء الرابع لابن الأثير الجزري (طبعة دار الكتب العلمية).

(34) المزمور الثاني والسبعين منسوب لسليمان، وليس منسوبًا كأغلب المزامير لداوود &.

(35) انظر كتاب التنقيب في التاريخ: علم الآثار والدين من أطلانتس إلى الهولوكوس تلريتشارد فروند (طبعة رومان وليتلفيلد، باللغة الإنجليزية)، ص 46.

(36) انظر ورقة بحثية بعنوان «إضاءة جديدة على التاريخ القديم للمستعمرات الفينيقية» لوليام ألبرايت (منشورة في مجلة الكليات الأمريكية للدراسات الشرقية، باللغة الإنجليزية)، ص 14.

(37) انظر كتاب البداية والنهاية/ الجزء الأول لابن كثير الدمشقي (طبعة مكتبة المعارف)، ص 270.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

دار المعارف)، ص 435.

(39) طالوت جاء اسمه في العهد القديم شاول.

(40) انظر كتاب تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك/ الجزء الأول لأبي جعفر الطبري (طبعة دار المعارف)، ص 517.

(41) انظر كتاب الكامل في التاريخ/ الجزء الأول لابن الأثير الجزري (طبعة دار الكتب العلمية)، ص 191.

(42) انظر كتاب البداية والنهاية/ الجزء الثاني لابن كثير الدمشقي (طبعة مكتبة المعارف)، ص 39.

(43) انظر كتاب تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك/ الجزء الأول لأبي جعفر الطبري (طبعة دار المعارف)، ص 538.

(44) انظر كتاب الكامل في التاريخ/ الجزء الأول لابن الأثير الجزري (طبعة دار الكتب العلمية)، ص 200.

(45) انظر كتاب البداية والنهاية/ الجزء الثاني لابن كثير الدمشقي (طبعة مكتبة المعارف)، ص 39.

(46) انظر كتاب تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك/ الجزء الأول لأبي جعفر الطبري (طبعة دار المعارف)، ص. 544 وكتاب الكامل في التاريخ/ الجزء الأول لابن الأثير الجزري (طبعة دار الكتب العلمية)، ص 204.

(47) انظر كتاب قصة الحضارة/ المجلد الأول: الجزء الثاني لويل واريل ديورانت (طبعة دار الجيل، مترجم إلى العربية)، ص 365.

(48) انظر كتاب الكامل في التاريخ/ الجزء الأول لابن الأثير الجزري (طبعة دار الكتب العلمية)، ص 206.

(49) انظر كتاب الكامل في التاريخ/ الجزء الأول لابن الأثير الجزري (طبعة دار الكتب العلمية)، ص 247 وكتاب تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك/ الجزء الأول لأبي جعفر الطبري (طبعة دار

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المعارف)، ص 606.

(50) انظر الموسوعة اليهودية/ الجزء التاسع عشر لمايكل بيرينباوم وفريد سكولنيك (طبعة ماكميلان ريفيرينس)، ص 743.

(51) انظر الجزء الخاص بالمجمع الفاتيكاني الثاني على الموقع الرسمي للفاتيكان:

(http://www.vatican.va/archive/hist_councils/ii_vatican_council/documents/vat-ii_decl_19651028_nostra-aetate_en.html)

(52) انظر كتاب الكامل في التاريخ/ الجزء الأول لابن الأثير الجزري (طبعة دار الكتب العلمية)، ص 250.

(53) هم سلالة من الفرنكيين أو الفرنجة، والذين ينتمون للعرق الجرماني الغربي.

(54) انظر كتاب «تاريخ يهود إسبانيا والبرتغال: منذ أزمانهم الأولى حتى طردهم الأخير من تلك الممالك وشتاتهم اللاحق(مع ترجمة كاملة لكل القوانين التي تخصهم خلال إقامتهم الطويلة في شبه الجزيرة الأيبيرية)» لإلياس ليندو (طبعة لونغمان، براون، غرين ولونغمانز، باللغة الإنجليزية).

(55) انظر كتاب «اليهود في الأندلس» لمحمد بحر عبد المجيد (طبعة الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر)، ص 20.

(56) انظر كتابنا «صنعة الشعر العربي: تأثير الحضارة والثقافة» (طبعة دار المعارف)، ص 105.

(57) وثائق جنيزة القاهرة هي مجموعة مكونة من 300 ألف وثيقة، تم العثور عليها في كنيس ابن عزرا في الفسطاط في القرن الثامن عشر، وهي وثائق تشير لحياة اليهود بين القرنين التاسع والتاسع عشر الميلاديين في مدن حوض البحر الأبيض المتوسط وشمال أفريقيا، والوثائق موجودة اليوم في العديد من كبرى الجامعات العالمية، مثل جامعة كامبريدج.

(58) انظر كتاب «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب»/ الجزء الأول لأحمد بن محمد المقري التلمساني (طبعة دار صادر)، ص 144 - 140.

(59) انظر كتاب «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب»/ الجزء الأول لأحمد بن محمد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(60) انظر كتاب «مجتمع البحر الأبيض المتوسط: مجتمعات اليهود في العالم كما صورتها وثائق جنيزة القاهرة»/ الجزء الأول لشلومو دوف غواتين (طبعة مركز الدراسات الشرقية في جامعة كاليفورنيا، باللغة الإنجليزية)، ص 102.

(61) انظر كتاب «اليهود في الأندلس» لمحمد بحرعبد المجيد (طبعة الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر)، ص 21.

(62) انظر كتاب «مجتمع البحر الأبيض المتوسط: مجتمعات اليهود في العالم كما صورتها وثائق جنيزة القاهرة»/ الجزء الأول لشلومو دوف غواتين (طبعة مركز الدراسات الشرقية في جامعة كاليفورنيا، باللغة الإنجليزية)، ص 77.

(63) انظر كتاب «مجتمع البحر الأبيض المتوسط: مجتمعات اليهود في العالم كما صورتها وثائق جنيزة القاهرة»/ الجزء الثاني لشلومو دوف غواتين (طبعة مركز الدراسات الشرقية في جامعة كاليفورنيا، باللغة الإنجليزية)، ص 26.

(64) انظر كتاب «مجتمع البحر الأبيض المتوسط: مجتمعات اليهود في العالم كما صورتها وثائق جنيزة القاهرة»/ الجزء الثاني لشلؤمو دوف غواتين (طبعة مركز الدراسات الشرقية في جامعة كاليفورنيا، باللغة الإنجليزية)، ص 48.

(65) انظر كتاب «مجتمع البحر الأبيض المتوسط: مجتمعات اليهود في العالم كما صورتها وثائق جنيزة القاهرة»/ الجزء الثاني لشلومو دوف غواتين (طبعة مركز الدراسات الشرقية في جامعة كاليفورنيا، باللغة الإنجليزية)، ص 202.

(66) انظر كتاب «مجتمع البحر الأبيض المتوسط: مجتمعات اليهود في العالم كما صورتها وثائق جنيزة القاهرة»/ الجزء الثاني لشلومو دوف غواتين (طبعة مركز الدراسات الشرقية في جامعة كاليفورنيا، باللغة الإنجليزية)، ص 204.

(67) انظر كتاب «الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية» لعبد المنعم الحفني (طبعة مكتبة مدبولي)، ص 187.

(68) انظر كتاب «الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية» لعبد المنعم الحفني (طبعة مكتبة مدبولي)، ص 27.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(69) انظر كتاب «يهود إسبانيا المسلمة»/ الجزء الأول لإلياهو أشتور (طبعة جمعية النشر اليهودي، باللغة الإنجليزية)، ص 247.

(70) انظر كتاب «المُغرب في حلى المغرب» لعلي بن موسى المغربي/ الجزء الأول (طبعة دار المعارف)، ص 127.

(71) انظر كتاب « اليهود في الأندلس» لمحمد بحر عبد المجيد (طبعة الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر)، ص 79.

(72) انظر كتاب «تاريخ اليهود من الإمبراطورية الرومانية إلى فترة بداية العصور الوسطى»/ الجزء الثاني لسيمون دوبونوف (طبعة توماس يوسيلوف المتحدة، باللغة الإنجليزية)، ص 644.

(73) انظر كتاب «تاريخ اليهود من الإمبراطورية الرومانية إلى فترة بداية العصور الوسطى»/ الجزء الثالث لسيمون دوبونوف (طبعة توماس يوسيلوف المتحدة، باللغة الإنجليزية)، ص 6.

(74) المسيا أو الماشيح هو المنقذ الموعود بحسب الديانة اليهودية.

(75) انظر كتاب «حياة وزمن يهوذا هاليفي» لرودولف كايسر (طبعة المكتبة الفلسفية، باللغة الإنجليزية)، ص 47.

(76) انظر كتاب «حياة وزمن يهودا هاليفي» لرودولف كايسر (طبعة المكتبة الفلسفية، باللغة الإنجليزية)، ص 48.

(77) انظر كتاب «مجتمع البحر الأبيض المتوسط: مجتمعات اليهود في العالم كما صورتها وثائق جنيزة القاهرة»/الجزء الخامس لشلومو دوف غواتين (طبعة مركز الدراسات الشرقية في جامعة كاليفورنيا، باللغة الإنجليزية)، ص 425.

(78) انظر كتاب «تاريخ يهود إسبانيا والبرتغال: منذ أزمانهم الأولى حتى طردهم الأخير من تلك الممالك وشتاتهم اللاحق (مع ترجمة كاملة لكل القوانين التي تخصهم خلال إقامتهم الطويلة في شبه الجزيرة الأيبيرية)» لإلياس ليندو (طبعة لونغمان، براون، غرين ولونغمانز، باللغة الإنجليزية)، ص 39.

(79) المرجع السابق، ص 40.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(80) انظر كتاب حضارة العرب لغوستاف لوبون (طبعة مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة مترجم للغة العربية)، ص 463.

(81) انظر كتاب «الشعر العبري: محاضرات بعد ظهر يوم الأحد، قبل كلية الحقوق في غرينسبورو» لروبرت ديك(طبعة مكتبة س.ف توماس، باللغة الإنجليزية).

(82) انظر كتاب روح الشعر العبري/ الجزء الثاني لهيردر (طبعة طبعة إدوارد سميث، وقد قام جيمس مارس بترجمته إلى الإنجليزية عن الألمانية).

(83) تُقسَم المقاييس الشعرية في العالم إلى كمية ونوعية، والمقاييس الكمية هي التي تعتمد على خصائص معينة للمقطع الصوتي، وأبرزها طوله، بينما تعتمد المقاييس النوعية على عدد المقاطع الصوتية، بدون الالتفات إلى خصائصها.

(84) كتاب ترانيم وتراتيل مقدس عند الهندوس، مكتوب بالسنسكريتية، كتِبَ على مدار أكثر من ألف عام.

(85) الشعر الموزون بنظام النبرات هو الشعر الذي تحتوي جمله الشعرية على ثابت من المقاطع المنبورة، وهو أحد أنظمة الشعر النوعي.

(86) انظر ورقة بحثية بعنوان «الأساس الوزني للشعر العبري» لإلكانون إساكس (منشورة في المجلة الأمريكية للغات والآداب السامية، باللغة الإنجليزية).

(87) انظر كتاب بينغوين للشعر العبري لكارمي (طبعة مطبعة فايكنج، باللغة الإنجليزية).

(88) انظر كتاب «يهود إسبانيا المسلمة»/ الجزء الأول لإلياهو أشتور (طبعة منظمة النشر اليهودية، ترجمه إلى الإنجليزية آرون وجيني كلاين)، ص 383.

(89) انظر الموسوعة اليهودية/ الجزء السابع عشر لمايكل بيرينباوم وفريد سكولنيك (طبعة ماكميلان ريفيرينس)، ص 612.

(90) انظر كتاب بينغوين للشعر العبري لكارمي (طبعة مطبعة فايكنج، باللغة الإنجليزية)، ص 21.

(91) انظر الموسوعة اليهودية/ الجزء الرابع عشر لمايكل بيرينباوم وفريد سكولنيك (طبعة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ماكميلان ريفيرينس)، ص 22.

(92) انظر كتاب «يهود إسبانيا المسلمة»/ الجزء الأول لإلياهو أشتور (طبعة منظمة النشر اليهودية، ترجمه إلى الإنجليزية آرون وجيني كلاين)، ص 247.

(93) المرجع السابق، ص 388.

(94) انظر الموسوعة اليهودية/ الجزء التاسع لمايكل بيرينباوم وفريد سكولنيك (طبعة ماكميلان ريفيرينس)، ص 145.

(95) انظر كتاب «يهود إسبانيا المسلمة»/ الجزء الأول لإلياهو أشتور (طبعة منظمة النشر اليهودية، ترجمه إلى الإنجليزية آرون وجيني كلاين)، ص 247.

(96) انظر رسائل ابن حزم الأندلسي/ الجزء الثاني (طبعة المؤسسة العربية للدراسات والنشر)، ص 48.

(97) انظر كتاب «يهود إسبانيا المسلمة»/ الجزء الأول لإلياهو أشتور (طبعة منظمة النشر اليهودية، ترجمه إلى الإنجليزية آرون وجيني كلاين)، ص 247.

(98) انظر الموسوعة اليهودية/ الجزء السادس لمايكل بيرينباوم وفريد سكولنيك (طبعة ماكميلان ريفيرينس)، ص 46. وكتاب «يهود إسبانيا المسلمة»/ الجزء الأول لإلياهو أشتور (طبعة منظمة النشر اليهودية، ترجمه إلى الإنجليزية آرون وجيني كلاين)، ص 250.

(99) انظر الموسوعة اليهودية/ الجزء السادس لمايكل بيرينباوم وفريد سكولنيك (طبعة ماكميلان ريفيرينس)، ص 46. وكتاب «يهود إسبانيا المسلمة»/ الجزء الأول لإلياهو أشتور (طبعة منظمة النشر اليهودية، ترجمه إلى الإنجليزية آرون وجيني كلاين)، ص 260.

(100) انظر الموسوعة اليهودية/ الجزء السادس لمايكل بيرينباوم وفريد سكولنيك (طبعة ماكميلان ريفيرينس)، ص 46. وكتاب «يهود إسبانيا المسلمة»/ الجزء الأول لإلياهو أشتور (طبعة منظمة النشر اليهودية، ترجمه إلى الإنجليزية آرون وجيني كلاين)، ص 253.

(101) انظر كتاب «يهود إسبانيا المسلمة»/ الجزء الأول لإلياهو أشتور (طبعة منظمة النشر اليهودية، ترجمه إلى الإنجليزية آرون وجيني كلاين)، ص 255.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(102) انظر الموسوعة اليهودية/ الجزء السادس لمايكل بيرينباوم وفريد سكولنيك (طبعة ماكميلان ريفيرينس)، ص 46.

(103) انظر كتاب «حلم القصيدة: الشعر العبري من إسبانيا المسلمة والمسيحية - 950 1492م لبيتر كول (طبعة مطابع جامعة برينسيتون، باللغة الإنجليزية)، ص 24.

(104) انظر كتاب «حلم القصيدة: الشعر العبري من إسبانيا المسلمة والمسيحية - 950 1492م لبيتر كول (طبعة مطابع جامعة برينسيتون، باللغة الإنجليزية)، ص. 27

(105) انظر كتاب «يهود إسبانيا المسلمة»/ الجزء الأول لإلياهو أشتور (طبعة منظمة النشر اليهودية، ترجمه إلى الإنجليزية آرون وجيني كلاين)، ص 395.

(106) انظر كتاب «حلم القصيدة: الشعر العبري من إسبانيا المسلمة والمسيحية - 950 1492م لبيتر كول (طبعة مطابع جامعة برينسيتون، باللغة الإنجليزية)، ص 28.

(107) انظر الموسوعة اليهودية/ الجزء التاسع لمايكل بيرينباوم وفريد سكولنيك (طبعة ماكميلان ريفيرينس)، ص 685.

(108) انظر كتاب «اليهود في الأندلس» لمحمد بحر عبد المجيد (طبعة الهيئة العامة للتأليف والنشر)، ص 37.

(109) انظر الموسوعة اليهودية/ الجزء التاسع لمايكل بيرينباوم وفريد سكولنيك (طبعة ماكميلان ريفيرينس)، ص 685.

(110) انظر كتاب «يهود إسبانيا المسلمة»/ الجزء الأول لإلياهو أشتور (طبعة منظمة النشر اليهودية، ترجمه إلى الإنجليزية آرون وجيني كلاين)، ص 398.

(111) انظر كتاب «حلم القصيدة: الشعر العبري من إسبانيا المسلمة والمسيحية - 950 1492م لبيتر كول (طبعة مطابع جامعة برينسيتون، باللغة الإنجليزية)، ص 35.

(112) انظر الموسوعة اليهودية/ الجزء السابع عشر لمايكل بيرينباوم وفريد سكولنيك (طبعة ماكميلان ريفيرينس)، ص 776.

(113) انظر كتاب «حلم القصيدة: الشعر العبري من إسبانيا المسلمة والمسيحية - 950

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لبيتر كول (طبعة مطابع جامعة برينسيتون، باللغة الإنجليزية)، ص 37.

(114) انظر كتاب «اليهود في الأندلس» لمحمد بحر عبد المجيد (طبعة الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر)، ص 47.

(115) انظر كتاب «تاريخ اليهود من الإمبراطورية الرومانية إلى فترة بداية العصور الوسطى» / الجزء الثاني لسيمون دوبونوف (طبعة توماس يوسيلوف المتحدة، باللغة الإنجليزية)، ص 637.

(116) انظر كتاب «حلم القصيدة: الشعر العبري من إسبانيا المسلمة والمسيحية - 950 1492م لبيتر كول (طبعة مطابع جامعة برينسيتون، باللغة الإنجليزية).

(117) انظر كتاب «حلم القصيدة: الشعر العبري من إسبانيا المسلمة والمسيحية - 950 1492م لبيتر كول (طبعة مطابع جامعة برينسيتون، باللغة الإنجليزية)، ص 71.

(118) انظر كتاب «تاريخ اليهود من الإمبراطورية الرومانية إلى فترة بداية العصور الوسطى»/ الجزء الثاني لسيمون دوبونوف (طبعة توماس يوسيلوف المتحدة، باللغة الإنجليزية)، ص 639.

(119) انظر كتاب «حلم القصيدة: الشعر العبري من إسبانيا المسلمة والمسيحية - 950 1492م لبيتر كول (طبعة مطابع جامعة برينسيتون، باللغة الإنجليزية)، ص 75.

(120) انظر الموسوعة اليهودية/ الجزء السابع لمايكل بيرينباوم وفريد سكولنيك (طبعة ماكميلان ريفيرينس)، ص 321.

(121) انظر الموسوعة اليهودية/ الجزء السابع لمايكل بيرينباوم وفريد سكولنيك (طبعة ماكميلان ريفيرينس)، ص 321.

(122) انظر كتاب «حلم القصيدة: الشعر العبري من إسبانيا المسلمة والمسيحية - 950 1492م لبيتر كول (طبعة مطابع جامعة برينسيتون، باللغة الإنجليزية)، ص 75.

(123) انظر كتاب «حلم القصيدة: الشعر العبري من إسبانيا المسلمة والمسيحية - 950 1492م لبيتر كول (طبعة مطابع جامعة برينسيتون، باللغة الإنجليزية)، ص. 126 - 121.

(124) انظر الموسوعة اليهودية/ الجزء التاسع لمايكل بيرينباوم وفريد سكولنيك (طبعة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(125) انظر كتاب «حلم القصيدة: الشعر العبري من إسبانيا المسلمة والمسيحية - 950 1492م لبيتر كول (طبعة مطابع جامعة برينسيتون، باللغة الإنجليزية)، ص. 133.

(126) أشارت الموسوعة اليهودية أن هاليفي رحل من قشتالة قبل موت الملك.

(127) انظر الموسوعة اليهودية/ الجزء الحادي عشر لمايكل بيرينباوم وفريد سكولنيك (طبعة ماكميلان ريفيرينس)، ص 493.

(128) انظر كتاب زمن وحياة يهوذا هاليفي لرودلف كايسر (طبعة المكتبة الفلسفية، مترجم إلى الإنجليزية)، ص 136.

(129) انظر كتاب «حلم القصيدة: الشعر العبري من إسبانيا المسلمة والمسيحية - 950 1492م لبيتر كول (طبعة مطابع جامعة برينسيتون، باللغة الإنجليزية)، ص 143.

(130) انظر كتاب زمن وحياة يهوذا هاليفي لرودلف كايسر (طبعة المكتبة الفلسفية، مترجم إلى الإنجليزية)، ص 120.

(131) انظر الموسوعة اليهودية/ الجُزء الحادي عشر لمايكل بيرينباوم وفريد سكولنيك (طبعة ماكميلان ريفيرينس)، ص 497.

(132) انظر كتاب «حلم القصيدة: الشعر العبري من إسبانيا المسلمة والمسيحية - 950 1492م لبيتر كول (طبعة مطابع جامعة برينسيتون، باللغة الإنجليزية)، ص 146.

(133) انظر كتاب القدس عربية إسلامية لسيد فرج راشد (طبعة دار المريخ)، ص 146.

(134) انظر بحث «المؤثرات العربية في شعر يهود الأندلس» لمحمد فتحي البغدادي(بحث مقدَم في ندوة اللغات والترجمة: الواقع والمأمول)، ص 21.

(135) انظر كتاب «تاريخ الشعر العبري في إسبانيا المسلمة» لحاييم شيرمان (طبعة ماغنيس، باللغة العبرية)، ص 15.

(136) انظر ورقة بحثية بعنوان «أسطورة تفوق السفرديم» لإسمار شورش (منشورة في كتاب معهد ليوبارك السنوي، باللغة الإنجليزية)، ص 61.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(137) انظر كتاب «يهود إسبانيا المسلمة»/ الجزء الثالث لإلياهو أشتور (طبعة جمعية النشر اليهودي، باللغة الإنجليزية).

(138)انظر كتاب زمن وحياة يهوذا هاليفي لرودلف كايسر (طبعة المكتبة الفلسفية، مترجم إلى الإنجليزية)، ص 45.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner